



هزيمة غراتسياني

و

سقوط الفاشية

تأليف: حسن محمود بالحاج

مكتبة دار الكتب
بمصر

هزيمة غراتسياني

و

سقوط الفاشية

مكتبة دار الكتب
بمصر

تأليف: حسن محمود بالحاج

الإهداء

إلى ذكرى والدي ، ، ، ،
الذي فاجأه العدوان الإيطالي وهو في ريعان الشباب
و أصابته نار الغدر بكلوم لم تندمل أبداً
و طاردته اليد الآثمة إلى منتهىها فمات غريباً .

عيسى يوسف النعيمي

الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان

مصراتة - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

ص.ب. 17459 م.برق (تلكس) 30098 مطبوعات



الطبعة الاولى 1428 م- 1998 أفرنجي

رقم الإيداع 98-3233 دار الكتب الوطنية - بنغازي

حقوق الطبع و الالةنباس و الترجمة محفوظة للناسر

طبعت بمطابع شركة ب. ي. ج. المحدودة - سان جوان - مالطا

عندما قامت الدوائر الإستعمارية الإيطالية بغزو ليبيا سنة 1911 لم تكن تتوقع مطلقاً أن تكون المقاومة شديدة إلى الحد الذي يهدد عملية الغزو ذاتها تهديداً خطيراً، وهي التي اعتقدت أنها لن تستغرق إلا أياماً معدودة وبعدها ينتهي كل شيء . ولكن المقاومة استمرت ما يقارب من ثلاثين سنة و لم يستطيع الإيطاليون قبلها أن يمدوا نفوذهم و سيطرتهم علي كامل التراب الليبي . وفي أوائل سنة 1932 أعلنوا أنهم أعما احتلال المستعمرة و تهدئتها، و لم يستمر هذا الهدوء المزعوم طويلاً، إذ ما لبثت الحوادث أن اتخذت في سنة 1940 منعطفاً حاداً أدى إلي تغيرات بعيدة المدى ليس في ليبيا فقط ، و لكن علي المستوي العالمي أيضاً

لقد مرت ليبيا منذ الغزو الإيطالي سنة 1911 و حتي سنة 1945 بأربع مراحل أو فترات تختلف كل منها عن الأخرى بحسب اختلاف الأوضاع السياسية و الاستعمارية التي كانت تسود آنذاك و هي كما يلي : —

الأولي : هي فترة مقاومة و محاصرة القوات الإيطالية في مواقع معينة نتيجة للمقاومة الباسلة التي أبدأها الليبيون و استمرت من سنة 1911 إلي سنة 1922 .

الثانية : هي الفترة التي أطلق عليها مرحلة ترسيخ الاحتلال الإيطالي لليبيا ، و إعادة الاحتلال و مد نفوذ القوات الإيطالية إلي الأماكن التي لم تستطع الوصول إليها ، أو وصلت إليها ثم طردت منها و استمرت من سنة 1922 إلي سنة 1932 . و اضطرت إيطاليا في هذه المرحلة إلي خوض كثير من المعارك الشرسة أثناء محاولتها احتلال كامل التراب الليبي و اشتبكت في معارك مريرة كلفتها خسائر جسيمة و ألزمتها القتال المستمر و المضني ، فاضطرت إيطاليا إلي جلب المزيد من المعدات و الجنود حتي تستطيع السيطرة علي المواقف المتأزمة و الشديدة الخطورة التي منعتها من فرض إرادتها و تحقيق أهدافها .

لقد حشدت إيطاليا كل إمكانياتها المادية و البشرية لإنهاء المقاومة في ليبيا و إغما لهذه السياسة وضعت علي رأس تنظيماتها الاستعمارية و السياسية و العسكرية قادة يحققون أحلام موسوليني التوسعية، و يطبقون المبادئ الفاشية اللاإنسانية علي الشعوب الآمنة بحد السيف مستخدمين في ذلك أخط الوسائل التي عرفها البشر من قتل و تدمير و إبادة ، و أفرز هذا الاتجاه الفاشي المنحط قيادات جديدة تعتمد علي الإرهاب و البطش و إبادة البشر لتحقيق المجال الحيوي الذي يقوم علي جلب أعداد كبيرة من البشر و إحلالهم محل أصحاب الأرض الأصليين بعد إبادتهم و محوهم من الوجود ، من أمثال فولبي و الي طرابلس ، و تروودس و الي برقة ، و ديبونو وزير المستعمرات و الحاكم العام لليبيا يتروبادليو، و الجنرال غراتسياني و هو من كبار القادة العسكريين .

لقد مارس هؤلاء القادة و معهم آخرون أدواراً هامة في الحرب الاستعمارية القذرة التي شنها الإيطاليون علي الشعب الليبي ، و ساهم كل منهم بدوره الخاص في عمليات القتل و الإرهاب و التشريد و لكننا مع ذلك نولي الجنرال غراتسياني

عيسى يوسف البريتي

أهمية خاصة باعتباره أحد المنفذين الفعليين للسياسة الإستعمارية الإيطالية الفظة في ليبيا ، لقد اشترك غراتسياني في كثير من المعارك التي جرت لإعادة الإحتلال الإيطالي للليبيا ابتداءً من سنة 1922 سواء في مجال عمليات طرابلس ، أو في برقة فيما بعد ، وقد قام غراتسياني بدور كبير في هذه العمليات أكسبته شهرة واسعة أظهر خلالها سجايه الطبقية التي تمثلت في القسوة والتجبر وأكسبته عن جدارة واستحقاق لقب السفاك .

وقد ارتبط غراتسياني ارتباطاً نهائياً ومصرياً بموسوليني و الفاشية ، لقد تصاحبا و سارا سوياً منذ الإنتصارات الإيطالية التي حققها النظام الفاشي في حروبه الإستعمارية قبل أن يصطدم بالقوات المتحالفة ضد الحور ، ذلك الصدام الذي أدى إلي أفول نجم غراتسياني وإلي اضمحلال الفاشية .

و بالرغم من الأحداث الجسيمة التي جرت في هاتين الفترتين و ما أدت إليه من آثار و نتائج ، إلا أن معرفتنا بهما لازالت تعاني قصوراً كبيراً ، فكثير من المواد العلمية المتعلقة بأحداث الإحتلال الإيطالي لازالت في لغاتها الأصلية لم تنقل إلي العربية ، حتي يسهل تداولها و الإطلاع عليها و معرفة الحقائق المختلفة المتعلقة بالإحتلال الإيطالي و ممارساته و أهدافه و النتائج الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية المترتبة عليها و غيرها من ظروف ، صحيح أنه بذلت محاولات طيبة من كثير من الدارسين و الباحثين إلا أن الجهد المبذول لا يزال في حاجة إلي «عم و تشجيع حتي تزداد معرفتنا بهذه المرحلة الصعبة التي اجتازها الشعب الليبي .

الخلاصة : هي الفترة من سنة 1932 إلى سنة 1940 ، في سنة 1932 أعلن بادليو الحاكم العام لليبي في تصريح رسمي عن إنتهاء المقاومة في ليبيا ، و امتدت هذه الفترة ثمان سنوات ، لم عيها شيء سوى تعيين إيتالو باليو في أول أي النار «يناير» سنة 1934 ، حاكماً عاماً لليبيا بدلاً من الماريشال بادليو ، و انتهاء عمل غراتسياني ككاتب و لي برقة في شهر الماء «مايو» سنة 1924 هذا علي مستوي الأحداث في ليبيا .

أما علي المستوي الدولي ، فقد قام الإيطاليون بغزو الحبشة ، إذ لم يكد الإيطاليون ينتهون من عملية إخضاع ليبيا للحكم الإستعماري الفاشي حتي أخذ موسوليني يرنو بعينه إلي الحبشة يجده إليها ما تحتوي عليه من مصادر طبيعية و إمكانيات كبيرة ، و أمرواته في شهر التمور «أكتوبر» سنة 1935 بالهجوم علي الحبشة و الإستيلاء عليها ، فهاجمها الإيطاليون مستعينين مستعينين في هجومهم بكافة الأساليب و الوسائل التي يمتلكها جيش أوربي حديث ، مستخدمين الطائرات و الدبابات و المدفعية و الغازات السامة المحرمة دولياً ، و اقترفت إيطاليا في غزوها للحبشة المجازر و الفظائع ضد الشعب الحبشي الأعزل باسم الحضارة و التمدن ، وقاد هذا الزحف الدموي لبشع السفاحان : الماريشال بادليو ، و الجنرال غراتسياني و أدبي غزو إيطاليا للحبشة إلي خلافات دولية أصابت عصبه الأمم ببهزة قوية ، و أحدثت خلافات بين دول العالم الكبرى ، إلا أن هذا الغزو أدى من ناحية أخرى إلي ازدياد وعي العالم بقسوة الإحتلال الإيطالي و بشاعته .

الرابعة : وهي الفترة التي تقع بين الصيف « يونيو » سنة 1940 و الطير « أبريل » سنة 1945 وهي من الفترات الغريبة التي قد غر بالشعوب أحياناً فتجري أثناءها أحداث تؤدي إلى نتائج لا يتوقعها أحد ، فعندما اكتسحت الدبابات الألمانية فرنسا رأي موسوليني انتهاز الفرصة لتحقيق مكاسب لإيطاليا من خلال الانتصار الألماني ، فأعلن في العاشر من شهر الصيف « يونيو » سنة 1940 الحرب علي بريطانيا و فرنسا ، و أصبحت إيطاليا بذلك في المعسكر المضاد لبريطانيا التي تحتل مصر ، و أمر موسوليني قواته المتمركزة في ليبيا تحت قيادة غراتسياني بالهجوم علي مصر و احتلالها ، و تقدمت القوات الإيطالية داخل الأراضي المصرية حتي وصلت إلي بلدة سيدي براني و توقفت هناك ، إلي أن قامت القوات البريطانية بهجوم أعد له إعداداً جيداً و تمكنت من دحر الجيش العاشر الإيطالي الذي كان تحت قيادة غراتسياني ألغ الضباط الإيطاليين و أكثرهم شهرة ، و أيدت القوات الإيطالية و هي تنسحب غرباً عند « بيضافم » « 1 » شمال اجدابيا و لقد كانت هذه الهزعة الشيعية ضربة قاصمة للإيطاليين لم يفيقوا منها أبداً ، أدت إلي اضمحلال قواهم و سقوط الفاشية .

لقد شددت هذه الأنباء المذهلة انتباه العالم ، فها هو الجيش الإيطالي الذي كانت انتصاراته تملأ الأسماع ينهار فجأة ، إن الإيطاليين الذين أحرزوا في معاركهم الإستعمارية المدوية أو هموا العالم بأنه أمام قوة ناهضة لا تبقي علي شيء يقف أمامها و أعطت القادة الإيطاليين الإيطاليين إحساساً زائفاً بالقدرة و النبوغ العسكري ، فامتلاؤا غروراً و عنجنية ، و راحوا يهزون أعطافهم خيلاء و صلفاً ، ترين أرديتهم العسكرية الأوسمة و علامات الرتب و الشارات المختلفة ، و عندما واجه الجيش الإيطالي خصماً أوروبياً حديثاً و مزوداً بالعدد و العتاد انهار فجأة كما تنهار قصور بنيت من الرمال ، لقد أدهشتني أحداث هذه الفترة و أخذت بمجامع لي ، فها هي الفاشية تنهار و ها هو غراتسياني البطل المغوار ينتهي نهاية قبيحة ، فبعد أكابيل الغار التي زينت مفرقه إذا به يتريدي في سلسلة من الهزائم و الإنكسارات رافقته إلي نهاية حياته ، فوضعت هذا الكتاب كي أسجل فيه الحدثين : هزعة غراتسياني و انهيار الفاشية .

ولعل من الأمور التي لفتت نظري عند تتبعي لهذه الفترة ، هي أنني لم أوفق في العثور علي كتاب يؤرخ الوقائع التي حدثت في ليبيا فيما بين سنة 1932 و سنة 1945 ، لقد اهتم الباحثون بالحوادث حتي سنة 1932 و لكنهم لم يحفلوا بتاريخ الوقائع الحاسمة التي جرت خلال الحرب العالمية الثانية .

لا لا شك أن هناك الكثير من المعلومات عن هذه الفترة ، إلا أنها موزعة و متناثرة في بطون الكتب ، ككتب التاريخ العامة ، و كتب التاريخ العسكري ، و كتب المذكرات و السير الذاتية لبعض المشاهير .

لقد بذلت في هذه الدراسة أقصى ما استطعت من جهد ، رغم قلة الإمكانيات و ضيق الوقت و قسوة الظروف ، يدفني أمل واحد هو أن يكون هذا العمل حافزاً لاهتمام الباحثين و الدارسين و المختصين من الليبيين ، للقيام بدراسات أوسع في هذا الموضوع تزيد من معلوماتنا و معارفنا عن هذه الفترة الهامة من تاريخ ليبيا .

حسن محمود بالحاج

بنغازي - ليبيا : 1996/8/20

الجزء الأول

الهزيمة بين براغي واجدايا

الأحلام التوسعية

قامت السياسة الإستعمارية الإيطالية على أساس تحقيق أحلام توسعية إيطالية و خطط استعمارية أوسع نطاقاً و أبعد مدى ، فهي تتطلع لإعادة الإمبراطورية الرومانية ذات الجند و السلطان الواسع ، و من ثم فقد أخذت منذ نهاية القرن التاسع عشري تصويب ناظريها تجاه شرق أفريقيا حيث الصومال و أريتريا ، ثم صوب البحر الأبيض المتوسط ، الذي سبقتها إليه بريطانيا وفرنسا ، فقد احتل البريطانيون مصر بينما احتل الفرنسيون المغرب و الجزائر و تونس فلم يبق أمامها إلا ليبيا ، و كانت تابعة في ذلك الوقت لتركيا .

الإحتلال الإيطالي لليبيا

شنت الدوائر الإستعمارية الإيطالية حربها العدوانية علي ليبيا في شهر التمور «اكتوبر» سنة 1911 ، و كانت الدول الإستعمارية قد أقرت في مؤتمر برلين سنة 1884 مبدأ تقسيم أفريقيا ، و كانت ليبيا من ضمن المناطق المستهدفة باعتبارها جزء من الوطن العربي و من أفريقيا «2» .

و كان العدو أنزل قواته في طبرق يوم 4 المم من شهر التمور «اكتوبر» سنة 1911 و في طرابلس يوم 5 منه ، و في درنة يوم 15 منه ، و في الخمس يوم 18 منه ، و في بنغازي يوم 20 منه .

و نشأت عن الحرب الليبية - الإيطالية أزمة في العلاقات التركية - الإيطالية علي اعتبار أن ليبيا كانت تحت الإمبراطورية العثمانية ، أدت إلي إعلان إيطاليا الحرب علي تركيا ، و إلي قيام إيطاليا بالاستيلاء علي جزر بحر إيجة ، و ضرب الدردنيل و مهاجمته . و مساعدة ثورة الإدريسي في الجزيرة العربية ، و قصف ميناء الحديدة ، و توسيع نطاق الحرب في ليبيا «3» .

و قد أدت هذه الظروف إلي مفاوضات بين تركيا و إيطاليا انتهت بمعاهدة لوزان في 18 من شهر التمور «اكتوبر» سنة 1912 ، و انتهت بذلك الحرب بين تركيا و إيطاليا . و قد أصدر السلطان مرسوماً بمنح الحكم الذاتي للبيين ، و أن يتم إجلاء القوات التركية عن ليبيا «4» .

و هكذا ترك العرب بمفردهم بانسحاب الأتراك ، و أصبحت طرق الإمدادات التي كانت تأتيهم عن طريق تونس و مصر مهددة بعد اعتراف كل من بريطانيا و فرنسا بتبعية طرابلس و برقة لإيطاليا ، و قد تم انسحاب معظم الجند الأتراك إلا من بعض الضباط الذين بقوا كمتطوعين لإدارة الأمور العسكرية في طرابلس و برقة ، و اتفق علي أن تكون القيادة في لأحمد الشريف و في طرابلس لسليمان الباروني .

1، الإحتلال الإيطالي و نمو حركة المقاومة :

و قد استمر المجاهدون الليبيون في التصدي للعدو ، و مناوشته و تكبيده الخسائر الفادحة رغم الفارق في الكبر في العدد و العدة بين المجاهدين و العدو ، و استمرت تلك النار متأجرة إلي أن بلغت ذروتها في معركة القرصاية في 28 / 4 / 1915 والتي انهزم فيها العدو ، و انكمش وجوده في بعض المدن الساحلية فقط «5» .

و عندما قامت الحرب العالمية الأولى أرادت تركيا استغلال المقاومة الليبية في فتح جبهة جديدة ضد الإنجليز في مصر ، و حملت أحمد الشريف علي إعلان الحرب ضدهم إلا أن الحملة انتهت بالفشل .

(02)، عمر المختار نشأته و جهاده صفحة 26.

(03)، مذكرات جوليتي صفحة 34.

(04)، حاضرم العالم الاسلامي جـ 3 صفحة 321.

(05)، عمر المختار نشأته و جهاده صفحة 40.

إن إقحام المجاهدين في برقة في حرب خاسرة مع الإنجليز أدى إلى نتائج سلبية علي حركة المقاومة في ليبيا بشكل عام، وفي برقة بشكل خاص فقد انسحب أحمد الشريف من من ميدان الجهاد، و كان قد رفض التفاوض مع الإيطاليين و غادر البلاد إلى تركيا سنة 1917 و تسلم القيادة السياسية و المدنية بـده اريس السنوسي، و كان ميالاً للتقارب و التفاهم مع الإيطاليين، و ذلك عن طريق منع استئناف الحرب ضد الإنجليز حلفاء الإيطاليين علي الحدود الشرقية و السعي لعقد الهدنة مع الإيطاليين، و بعد إجرائه سلسلة من المفاوضات في الزويتينة و عكرمة و الرجمة، و يومنصور، تعرض ادريس لضغوط جديدة نتيجة قبول كتاب البيعة بمبايعته أميراً علي لقطري طرابلس و بنغازي الأمر الذي يتعارض مع التزاماته للإيطاليين و ضغوطاً من الإيطاليين بوجوب تنفيذ الإتفاقيات التي أبرمها بالإضافة إلى نتائج الانقلاب الفاشي في إيطاليا في شهر التمور «أكتوبر» سنة 1922 و تجدد العمليات العسكرية في طرابلس.

و عندما أدرك تصميم إيطاليا علي استئناف العمليات العسكرية في برقة انسحب من الميدان بحجة المرض و سافر إلى مصر سنة 1922 م، و عهدت إدارة الأعمال العسكرية إلى عمر المختار «6»

2= إعادة الإحتلال الإيطالي لليبيا :

بعد المقاومة الباسلة التي أبدأها المجاهدون الليبيون و الحساير التي أنزلوها بالإيطاليين و خاصة في معركة القرضابية سنة 1915، انكمش الوجود الإيطالي و أصبح محصوراً في نطاق بعض المدن الساحلية، و قد تبي الإيطاليون خطة تهدف إلى السيطرة علي طرابلس و فران، ثم الاتجاه بعدها إلى برقة و إنهاء المقاومة فيها، و السيطرة نهائياً علي كامل التراب الليبي . و من كبار الشخصيات الإستعمارية التي عملت علي ترويع هذا الأمر الكونت جيوسي فولي و إلي طرابلس الغرب من سنة 1921 إلى سنة 1925 و هو من أخطر الشخصيات لإستعمارية في هذه المرحلة .

العمليات الحربية لإحتلال طرابلس الغرب

بدأت هذه العمليات باحتلال قصر أحمد، و قد حاولت وزارة المستعمرات و الولاة الذين تعاقبوا علي حكم الولاية منذ سنة 1916 احتلال مصراته، فقد كانت مصراته عاصمة الجمهورية، و مركز القيادة العسكرية و السياسية للنضال الوطني، و المعقل الحصين الذي تحطمت دونه كل محاولات الإستعمار و لكنهم كانوا يقابلون في كل مرة من الدوائر العسك العسكرية و السياسية بالرفض لأسباب مختلفة لعل من أهمها: ضعف قدرات القوات الإيطالية و الحاجة إلى عمليات عسكرية في المناطق الأخرى لتأمين احتلال مصراته و كانت قضية احتلال مصراته شغلاً شاغلاً للدوائر العسكرية و السياسية في إيطاليا وليبيا «7» و عندما غن الكونت فولي والياً علي طرابلس الغرب في شهر ناصر «يوليو» سنة 1922 اتخذت قضية احتلال مصراته مساراً جديداً، فقد تمكن فولي و لكن بعد جهد من الحفصول علي تصريح الدوائر الرستعمارية الإيطالية باحتلال قصر أحمد ميناء مصراته البحري، و شرع علي الفور في تنفيذ هذا الأمر، و أحاط تحركاته العسكرية بسرية مطلقة حتي يحقق المفاجأة المرجوة، و تحركت القوات الإيطالية صباح 25 من أي النار «يناير» سنة 1922 تحت قيادة الكولونيل بيتساري، و هو من الجنود الذين ساهموا في كثير من الحروب الإستعمارية في ليبيا .

(06) عمر المختار نشأته و جهاده

(07) بعد القرضابية صفحة 10.

وفي 26 أي النار «يناير» سنة 1922 أخذت قوات الحملة النزول إلى الشاطيء وعند الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم كانت جميع قوات الحملة قد أنزلت وأخذت قوات المجاهدين في التصاعد بحيث أصبحت تشكل خطورة واضحة علي وضع الحملة.

واستمرت المعارك من يوم 26 أي النار «يناير» إلي يوم 11 من شهر النوار «فبراير» حيث وصلت المعارك إلي ذروتها، تحول بعدها المجاهدون عن قصر أحمد إلي الزروق «8».

ورداً علي احتلال قصر أحمد قام المجاهدون بعزل العريضة ومحاصرتها ومحاصرة الزاوية. وقد رأت القيادة الإيطالية أمام الخطورة التي تكتنف حامية الزاوية تأجيل فك الحصار عن العريضة إلي ما بعد السيطرة الكاملة علي الساحل الغربي واحتلال الزاوية ولتحقيق هذه الغاية تحركت من سيدي بلال يوم 15 من شهر الطير «أبريل» قوات إيطالية بقيادة الكولونيل «كوتور» كما تحركت قوات أخرى من زوارة بقيادة الكولونيل غراتسياني وتسجل مشاركة غراتسياني في هذه الحملة بداية ظهور شخصيته علي مسرح العمليات الحربية في ليبيا التي سيرتبط بها ارتباطاً كريباً حتي نهاية المقاومة في الجبل الأخضر «9».

غراتسياني :

ولد «رودلفو غراتسياني» في 11 من شهر هنيبال «أغسطس» سنة 1882 بمنطقة وادي نهر «أنيني»، بدأ حياته بالعمل في الحاميات بأفريقيا، فعمل بأريتريا ما بين سنة 1907 و سنة 1912، وعمل في سنة 1919 في مقدونية، وفي سنة 1920 في باري ضد البلشفية، وفي نهاية سنة 1920 أحيل إلي الاستيداع بناء علي طلبه، ثم سافر إلي البلقان ومنها إلي تركيا فالقوقاز، وعاد إلي إيطاليا سنة 1921 وعرض عليه العمل في طرابلس، تلبية لطلب كان قد تقدم به منذ سنة 1918، وهكذا وصل إلي طرابلس في شهر الفاخ «سبتمبر» من تلك السنة.

ويعد غراتسياني أكثر القادة خبرة بشئون المستعمرات، ولكنه كان أيضاً أكثرهم قسوة وفظاظة، وقد تكونت لديه هذه الخبرة بداية من سنة 1921، من خلال المهام القمعية التي كان يكلف بها، وكان موضع إطراء وإشادة من الجهات الاستعمارية الفاشية التي تعتبر مسئولة كاملة عن انتهاك خطط إجرامية، وإعداد الوسائل لتنفيذها بحيث أفضت إلي اقتراح عملية إبادة جماعية «10».

وقد شجعت الدعاية الفاشية واضعو التاريخ الرسمي غراتسياني علي سلوك سياسة التشدد واتباع العنف والشدّة، فهم الذين أشادوا بشخصيته، ومجدوا مناقبه وأظهروا محاسنه، وأخفوا مساوئه، وبالذات الثمن الباهظ من الأرواح الذي كلفته سياسة العنف والشدّة هذه، ولم يحثروا في إيجاد ما يبرها.

أما أسباب خطوته لدي وسائل الإعلام الفاشية، وفي مؤلفات التاريخ الاستعماري فمتعددة منها: أنه كان أشهر الجنرالات الاستعماريين الطليان، إذ تجده يبرز في جميع الحملات الفاشية علي افريقيا لكفاءته في أمثال هذه الحروب، ومنها تكوينه الجسماني اذي يوحي بالهيبة، ومنها قدرته علي الحركات المثيرة، و تمكنه من استخدام الألفاظ البلاغية الجميلة التي كانت تجعل منه بطلاً فاشياً أصيلاً.

(08) نفس المرجع صفحة 28.

(09) نفس المرجع صفحة 67.

(10) إعادة الاحتلال الفاشي لليبيا صفحة 50.

وكان غراتسياني مقرباً للنظام الفاشي، وأكثر التصاقاً به من القادة الآخرين، فلم يكن ينتمي من حيث نشأته ولا تدرجه إلى الشلة الملكية في الجيش، إذ أنه كان من ضباط الاحتياط، ولم يتخرج من أي كلية أو أكاديمية عسكرية، وكان بالتالي يحصل علي التقدم و الرتب في الميدان، فكان عليه أن يندفع لتخطي التدرج في الرتب التقليدية نحو البحث عن دعم ومساندة من الأوساط الفاشية، و عن طريق قادتتها من أمثال دي بونو و موسوليني نفسه، وذلك بالمبالغة في ولائه للنظام، وتقديم الأدلة على كفاءته وإخلاصه في عمله.

إن الدراسات الدقيقة و المتأنية لوثائق الحفوفات التاريخية تبرز لغراتسياني صورة متميزة بما يلي :

حرصه الدائم علي تأكيد شخصيته و عبقريتها، و سيطرة النزعات الأنانية عليه إلى حد حبك الدسائس ضد رؤسائه و مرؤسيه علي السواء ليستاثركل مزية و فضل، و إلى حد تحمل مسؤولية أخطر الإجراءات و أمقتها بدون تردد إذا رآها تخدم أغراضه. لقد أثبت غراتسياني كفاءته كمنظم و قائد لأنماط الحرب العصرية في الصحراء التي اكتسبها خلال الحملات الاستعمارية في أفريقيا في فترة ما بين الحربين العالميتين.

و لم يُنظر لغراتسياني فضائل القائد الكفء و المنفذ الحاسم إلا في قمع حركة المقاومة، فقد نسب إليه كل الفضل في تحقيق النصر في حروبه الاستعمارية، و لقد نجحت الدعاية الفاشية في تصويره بطلاً، و لكنها غفلت عن إدراك فقره الشديد في أي عبقرية سياسية أو استراتيجية «11» .

الإتجاه نحو المنطقة الغربية الساحلية :-

و بعد احتلال قصر أحمد بمصراته اتجه الإيطاليون إلى المنطقة الغربية الساحلية من ليبيا، ففي يوم 15 أيلول «أبريل» سنة 1922 تحركت قوات بقية الكولونيل غراتسياني، و تسجل مشاركة غراتسياني بداية ظهوره علي مسرح العمليات في ليبيا، حيث لعب في تلك الأحداث دوراً كبيراً حقق له شهرة طنة أهاته لأن يكون أبرز العسكريين الإيطاليين في منطقة طرابلس، كما أكسبته العمليات التي اشترك فيها في ذلك المسرح لقب السفاح عن جدارة و استحقاق جعلته موضع نقمة و احتقار بما اقترفته من أعمال إجرامية جردته من صفات الشرف و الأديمة.

و كانت العمليات موجهة ضد الزاوية و من بعدها العريضة، و استمرت العمليات في هذه المنطقة من 16 أيلول «أبريل» إلى «19 أيلول» سنة 1922، و قد اتخذ الإيطاليون من العريضة قاعدة لمهاجمة الجبل الغربي (12).

و كانت الحكومة الإيطالية قد أعدت حملة كبرى و واسعة النطاق لاحتلال الجبل الغربي، و أسندت المهمة الرئيسية في هذه الحملة إلى الكولونيل غراتسياني، و أدت هذه الحملة إلى الإستيلاء علي جادو، و كاباو، و نالوت ثم يفرن، التي اتخذت قاعدة للوثوب علي غريان التي احتلتها قوات غراتسياني في 17 نوفمبر سنة 1922.

و في يوم 16 أيلول (فبراير) سنة 1923 احتل الإيطاليون مدينة ترونة بعد معارك عنيفة مضيئة.

و واصل الإيطاليون بعد ذلك زحفهم للاستيلاء علي الشريط الساحلي الممتد من الخمس حتي مصراته، فاستولوا علي مصراته في يوم 26 أيلول (فبراير) سنة 1923، و تمت ترقية غراتسياني إلى رتبة جنرال تقديراً للجهود التي بذلها في تحقيق هذا الإحتلال (13).

(11)، إعادة الاحتلال الفاشي لليبيا صفحة 105.

(12)، معجم معارك الجهاد صفحة 64.

(13)، بعد القرصانية صفحة 170.

و تم الاستيلاء علي اجدابيا في 31 من شهر الطير سنة 1923 ، و تحركت القوات الإيطالية من ترهونة بقيادة غراتسياني ، فاحتلت بني وليد يوم 27 الكانون (ديسمبر) سنة 1923 ، و يعتبر سقوط بني وليد نهاية للمقاومة في المنطقة الجنوبية من طرابلس الغرب حيث تحولت بعد ذلك إلي المناطق القبلية و الجنوبية (14) .

الاتجاه نحو القبلية و الجنوب :

و في نطاق العملية العسكرية الواسعة لاحتلال القبلية و الجنوب ، احتل الإيطاليون غدامس في 5 النوار (فبراير) سنة 1924 ، و مزدة في يوم 15 الصيف (يونيو) سنة 1924 ، و سرت يوم 23 الحرت (نوفمبر) سنة 1924 (15) . و بدأت إيطاليا تخطط لاحتلال الواحات الداخلية في برقة و جالو و أوجلة و الكفرة ، و عرفت هذه العمليات باسم عمليات خط 29 ، و قد اشترك غراتسياني في هذه العمليات ، و نلاحظ أن هذه الخطة تهدف إلي احتلال الواحات الداخلية و ربط الإقليمين (16) .

و في نهاية سنة 1929 عمل الإيطاليون علي احتلال فزان ، و قد تمكنت القوات الإيطالية بقيادة غراتسياني من احتلال براك في شهر الكانون (ديسمبر) سنة 1929 ، و أوباري في 2 أي النار (يناير) سنة 1930 ، و غات في 24 النوالوار (فبراير) سنة 1930 ، و بذلك تم للإيطاليين و للمرة الأولى في سنة 1930 عملية احتلال فزان (17) .

القضاء علي المقاومة في الجبل الأخضر

بعد أن أمم الجنرال غراتسياني احتلال فزان ، تلقى أمراً بتعيينه نائباً للوالي في برقة ، و كان الوالي (الحاكم) العام ليبيا آنذاك هو المارشال بادليو ، و طلب منه التحول إلي مركز عمله الجديد في أقرب فرصة لمواجهة المقاومة في الجبل الأخضر التي كان يقودها عمر المختار ، و قد غادر غراتسياني فزان جواً يوم 24 النوار (فبراير) سنة 1930 متجهاً إلي طرابلس فإيطاليا و منها إلي برقة حاملاً معه خبرته الاستعمارية التي اكتسبها في طرابلس و فزان (18) .

و قد حصل غراتسياني عندما كان في إيطاليا في شهر الربيع (مارس) سنة 1930 من وزارة المستعمرات التي كان يرأسها آنذاك دي بونو علي تأييد تام للحد من سياسة التصالح و مقابلة المقاومة في برقة بالتشدد و العنف ، و إنهاؤها في أقرب وقت . و عندما وصل غراتسياني إلي برقة كانت الم المقاومة علي أشدها لذلك رأي وجوب اتباع سياسة متشددة لإنهاءها ، أدت - فيما بعد - إلي فواجع و مأس مؤلمة ، فقد قرر اتخاذ الإجراءات التالية لإنهاء المقاومة :

1- سياسة التشدد و البطش :

فخلال شهري الربيع (مارس) و الصيف (يونيو) سنة 1930 قام غراتسياني بقتل الزوايا و نفي شيوخها و مصادرة أموالها المنقولة و العقارية ، و قام بإجراءات قاسية لتطهير صفوف الأهالي بقط المرتبات عمن كانوا يتقاضونها من الحكومة فضلاً عن تقديم الكثيرين منهم للمحاكمة بتهمة الخيانة .

كذلك اعترضه علي من لم يشترك في مكافحة المقاومة و تجريد المواطنين من السلاح و منعه لأي نوع من الإتجار مع مصر لتسهيل القضاء علي عمليات التهريب التي كان لها أثاراً بالغة بالنسبة لإقتصاد الجبل و تغذية حركة المقاومة .

(14) معجم معارك الجهاد صفحة 131.

(15) نفس المرجع صفحة 73.

(16) معجم معارك الجهاد صفحة 145.

(17) نفس المرجع صفحة 395.

(18) بعد القرضائية 257.

كون ماسماه (بالحكمة الطائرة) التي تنتقل بكامل هيئتها لالت في حالات التلبس بالجرائم علي مشهد من المواطنين وإصدار أحكامها بالإعدام التي كانت تنفذ في الحال .

وقد نظرت هذه المحكمة في العام الأول من ولاية غراتسياني في 520 قضية أصدرت بشأنها 119 حكماً بالإعدام نفذت علي الفور، و 117 حكماً بالسجن لمدد متفاوتة «19» .

و شرع غراتسياني في بناء قوة قوامها 13,000 ألف رجل، من ألف بين ضابط و ضابط صف، و ثلاثة آلاف جندي إيطالي، و تسعة آلاف عسكري من الإيريين، و ثلاث سرايا دروع محملة علي شاحنات و كتية من رجال المليشيا، و مجموعة مكونة من 500 شاحنة، و 30 إبي 36 طائرة و قاذفة خفيفة مهيمنة مطاردة قوات عمر المختار و محاصرتها و تدميرها «20» .

وقد حاول غراتسياني استخدام هذه القوات في القضاء علي المقاومة التي تنهت إبي نية العدو و فتوزعت إبي مجموعات صغيرة تمكنت من التسلل خلال القوات الإيطالية ففشل الهجوم .

وقد شكك بادليو في قيمة مثل هذه العمليات الواسعة المدي، و رأي وجوب عزل أهالي الجبل عن المجاهدين، و هو إجراء قد ينتج عنه هلاك أهالي الجبل، و لكن بادليو يري و يتوب اتباع هذا الإجراء و لو أدي إبي فناء أهالي برقة عن بكرة أبيهم «21» .

و من هنا نشأت فكرة المعتقلات في أرهان القيادات الفاشية، و ما حل يوم 25 الصيف «يونيو» سنة 1930 حتي قام غراتسياني بنفيذ تعليمات بادليو بإخلاء الجبل عن سكانه و نشأت ما عرفت فيما بعد باسم المعتقلات .

2 . المعتقلات :

يبدو إن فكرة المعتقلات فكرة صاحبت الاستعمار الإيطالي لليبيا، حيث تم تسييج المدن الساحلية المحتلة، و إخضاعها لنظام المراقبة الشديدة، فلا يتم الدخول إليها و الخروج منها إلا بتصريح، فهو نظام يرمي إبي عزل المواطنين و مراقبتهم مراقبة شديدة حتي تسل السيطرة عليهم، و شملت هذه السياجات أو الأسوار المدن الساحلية، كما شملت أيضاً مسيجات بتجميع الأهالي المقيمين قرب المدن و الحاميات الإيطالية .

و أقام نوع آخر من المعتقلات قصد طرد الأهالي و تحيلهم إبي أماكن بعيدة عن منازلهم و ديارهم، كنتيجة لاشتداد المقاومة بالجبل الأخضر حتي يتم الفصل بينهم و بين رجال المقاومة، و تشمل هذه المعتقلات : معتقل التجميع بطلمية، و معتقل المقرن، و معتقل سلوق، و معتقل الأبيار، و معتقل العقوبات بالبريقة و العقيلة، و هي معتقلات خشر فيها الناس خشراً في ظروف صحية و اجتماعية سيئة قصد منها الإبادة لإخلاء الجبل الأخضر من سكانه، و إيطان المهاجرين الإيطاليين محلهم، في صورة بشعة تذكرنا بمسكرات الإبادة التي أقامها النازيون، و بنزعة صادية لا تقبل أبداً عن تلك النزعات التي بدت عند مجرمي الحرب الممعة في الإنحطاط و الهمجية «22» .

3 . الواجبات العسكرية الجديدة : =

أدرك الإيطاليون صعوبة الحصول علي نتائج عسكرية ذات بال من خلال المعارك الكبيرة الواسعة المدي، و اتبعوا بدلاً

(19) إعادة الاحتلال الفاشي صفحة 110 .

(20) نفس المرجع صفحة 112 .

(21) نفس المرجع صفحة 114 .

(22) عمر المختار نشأته و جهاده صفحة 116 .

من ذلك استراتيجية استنزاف وإنهاء للقوي طويلة النفس، كانت مقدماتها الأساسية ترحيل الأهالي عن الجبل، وقد أنشيء نظام عسكري يقوم علي توزيع القوات علي أربع مناطق و هي :

1 - منطقة البطان

2 - قيادة الجبل

3 - قطاع بنغازي

4 - منطقة اجدايا العسكرية.

و كانت قيادة الجبل هي المسئولة عن القتال ضد عمر المختار، و كان علي رأسها اعتباراً من أوائل ناصر «يوليو» سنة 1930 العقيد «جيوسي مالتا» الذي كان يعتبر من خيرة قوات طرابلس، و كان إجلاء الأهالي يسهل إلي حد بعيد مهمة «مالتا» الذي لم يبق عليه إلا تشتيت المقاومة و استنزاف قواها حيث يؤدي قطع المدد عنها إلي انهيارها، لذلك وضع نصب عينيه هدفين :

الأول : تحسين تدريب جنود الوحدات سريعة الحركة، ثم تعويدهم علي تنسيق عملهم في جميع الظروف، و تقوم عملية التنسيق علي الاشتباك مع القوات المعادية التي تصادفها، و قطع الطرق عليها، و منعها من الانسحاب بمبادرة منها و دون انتظارها لنجدات .

الثاني : إيجاد جهاز مخابرات فعال، و قد تمكن «مالتا» من تشكيل عناصر تعمل مجتمعة كقناصة باستطاعتهم الرد علي الهجمات «23» .

4. احتلال الكفرة :-

لم يبق للإيطاليين بعد احتلالهم فزان بداية سنة 1930 سوي الاستيلاء علي منطقة الكفرة و الناطق الجنوبية المجاورة لها، فهي المنطقة الوحيدة التي لم تصلها القوات الإيطالية، و يبددو أن احتلالها عمل تستدعيه دواعي المهابة و الكبرياء، و قد قام الإيطاليون بحشد قوات ضخمة لإنجاز هذه المهمة، فوصلت هذه القوات إلي تازربو في أي النار «يناير» سنة 1931، و لحق بها الجنرال غارتسياني جواً في يوم 12 أي النار و كانت قد أسندت إليه القيادة العامة للحملة .

و قد احتل الإيطاليون التاج في 20 النوار «فبراير» سنة 1931 ثم قاموا بعملية ملاحقة لقوات المجاهدين الذين نزحوا إلي البلدان المجاورة، و انتهت بذلك المقاومة في هذه المناطق الصحراوية الجنوبية «24» .

5. سد الأسلاك الشائكة :-

رأي غراتسياني أنه يعد هناك بعد ترحيل الأهالي مصدر تنزود منه المقاومة إلا الحدود المصرية، لذا أصبح شغله الشاغل القضاء علي التهريب، و من هنا فقد تقرر مد سد الأسلاك الشائكة علي طول حدود مصر يكون من المانة بحيث لا يفسن تدفق المؤن علي رجال المقاومة، و أنجز السد في شهر الفاتح «سبتمبر» سنة 1931 «25» .

(23)، إعادة الاحتلال الفاشي للبيصافحة 131.

(24)، معجم معارك الجهاد صفحة 444.

(25)، إعادة الاحتلال الفاشي صفحة 135.

ويتكون هذا السد من خطوط متشابكة من الأسلاك الشائكة بلغ عرضه عشرة أمتار و طوله 270 كيلومتراً، وارتفاعه 1.60 متراً، وتمد من ميناء البردية إلى واحة الجغبوب، و تتخلله ثلاث قواعد رئيسية، في امساعد و الشقة و الجغبوب و ست قواعد فرعية و ثلاث مطارات صغيرة، وقاعدة جوية صغيرة في الجغبوب بالإضافة إلى محطات الهاتفية «26» .

أسر عمر المختار و استشهاده »

وقد أدت الترتيبات السابقة التي وضعها الفاشيون «بواقعة موسوليني و بإشراف دي بونو و بادليو و غراتسياني إلى إخلاء الجبل كالكلاب المسعورة من سكانه، فتوقف النشاط الزراعي، و قضي علي الثروة الحيوانية، و شحت بالتالي الأقوات و المون، عند ذلك أطلقت القوات التي أعدها و جهزها غراتسياني كالكلاب المسعورة تبحث في كل مكان من الجبل الأخضر عن عمر المختار و رفاقه، يقودهم الكشاف و فرسان الصواري و السرايا المدرعة و الشاحنات تحمل المون و الذخيرة، و الطائرات للكشف و الاستطلاع .

وقد أدت تلك التدابير إلى حصر المقاومة و التضييق عليها بحيث نتج عنها في النهاية أسر عمر المختار في يوم 11 من شهر الفاتح «سبتمبر» سنة 1931، و نقل إلى بنغازي يوم 12 الفاتح «سبتمبر» و تعرف عليه كبار الموظفين الإيطاليين ممن سبقت لهم معرفة به، و انتشر نبأ أسره في ذات اليوم في طرابلس و إيطاليا «27» .

وأسرع غراتسياني الذي كان في روما يوم 14 الفاتح «سبتمبر» بالعودة إلى بنغازي، و أجريت محاكمة صورية انتهت بالحكم علي عمر المختار بالإعدام شنقاً، و جري تنفيذ الحكم يف «سلوق يوم 16 الفاتح «سبتمبر» سنة 1931 علي مشهد من 20 ألف شخص جمعوا خصيصاً لمشاهدة تنفيذ الحكم «28» .

و باستشهاد عمر المختار أخذت المقاومة في الذبول و الإضمحلال إلى أن خمدت جذوتها في النهاية، و في 24 أي النار «يناير» سنة 1932 أعلن بادليو الحاكم العام علي ليبيا في تصريح رسمي نهاية المقاومة في ليبيا اعترف فيه « أنه للمرة الأولى بعد عشرين سنة من نزولنا بهذه الأرض قد تم احتلال المستعمرتين طرابلس و برقة و تهدئتهما «29» .

و استمر غراتسياني في منصبه ككاتب و الي علي برقة و قائد القوات المسلحة بها إلى 31 الماء «مايو» سنة 1934، و تولى منصب الحاكم العام لليبيا الماريشال إيتالو باليو في أي النار «يناير» سنة 1934 بدلاً من الماريشال بادليو، و قد استمر باليو في هذا المنصب إلى أن قتل في حادث سقوط طائرة سنة 1942 .

و اشترك الجنرال غراتسياني سنة 1935 في غزو الحبشة رفقة الماريشال بادليو، و ساهما في العمليات العسكرية لاحتلالها و التي تخللتها أعمال وحشية استخدمت فيها كافة الاسلحة بما فيها الغازات السامة التي راحت تحصد أرواح البشر بصورة بشعة مجردة من الآدمية و عندما جرت محاولة لاغتيال غراتسياني سنة 1937 ردأ علي سياسة القمع و الإرهاب التي مارسها ضد الشعب الحبشي، قام غراتسياني علي إثرها بتنفيذ مذبحه هائلة ذهب ضحيتها أعداداً كبيرة من أفراد الشعب الحبشي . و عندما أعلنت إيطاليا الحرب علي فرنسا في العاشر من شهر الصيف «يونيو» سنة 1940 كان الحاكم علي ليبيا آنذاك الماريشال إيتالو باليو و كان تحت إمرته الجنرال غراتسياني قائد الجيش العاشر الإيطالي الذي يتولي الدفاع عن ليبيا .

(26)، معجم معارك الجهاد صفحة 203.

(27)، إعادة الاحتلال الفاشي صفحة 142.

(28)، نفس المرجع صفحة 144.

(29)، معجم معارك الجهاد صفحة 88.

أخذت إيطاليا، وقد أمنت احتلالها لليبيا، تترنوعينها منذ سنة 1933 إلى الحبشة، وبدأ لموسوليني أن الحبشة التي اعترضت الطريق بين المستعمرتين الإيطاليتين ليبيا والصومال، والتي كان عنها وفرة مواردها الطبيعية وضعف قوتها الحربية، بدت له لفة سائغة يمكن أن يبدأ منها تحقيق آماله العريضة وأحلامه الضخمة، واستطاع أن يقنع في أوائل سنة 1935 «بيير لافال» رئيس الوزارة الفرنسية بالموافقة على هذا الفتح.

وأرسل موسوليني قوات ومعدات حربية هائلة زحفت في شهر التموز (أكتوبر) سنة 1935 على تلك البلاد، وحاول هيلاسلاسي ملك الحبشة الاستجداد بعصبة الأمم لكنها لم تحرك ساكناً رغم تعرض بلاده لغزو دولة أوروبية تمتلك أحدث الآلات والمعدات كالمصفحات والطائرات والغازات السامة.

وممكن بذلك الإيطاليون من احتلال الحبشة، وما وفي شهر الربيع (مارس) سنة 1936 حتى كان الإيطاليون قد قضوا على كل مقاومة حبشية واحتلوا أديس أبابا، وفر هيلاسلاسي، وأعلن موسوليني في 9 الماء (مايو) سنة 1936 ضم الحبشة كلها ونادي بالملك فيكتور عمانويل الثالث ملك إيطاليا إمبراطور إمبراطور على الحبشة (30).

وقد أدي احتلال الحبشة وما ترتب عليه من مشاكل دولية إلى تأييد هتلر لموسوليني تأييداً قوياً في تحديه لقرارات عصبة الأمم، وعندما نشبت الحرب الأهلية في إسبانيا سنة 1936 قاما بالتدخل في هذا الصراع لصالح أنصار الملكية بقيادة (فرانكو) مما أدي إلى توثيق عري الصداقة بينهما توثقاً ازداد مرور الأيام (31).

وفي 7 الطير (أبريل) سنة 1939 أرسل موسوليني قواته إلى ألبانيا فاحتلها وفي الثامن عشر من ذلك الشهر فر ملكها إلى اليونان، وتوسعت بذلك الإمبراطورية الإيطالية وأصبح الملك عمانويل يلقب رسمياً (ملك إيطاليا وألبانيا وإمبراطور الحبشة) (31).

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية بعد هجوم هتلر على بولندا واكتساحه لفرنسا رأي موسوليني - وقد بهرته انتصارات هتلر- أنه إذا وقف مكتوف الأيدي فسيخرج صفرا اليمين، ومن هنا فقد أعلن في العاشر من شهر الصيف (يونيو) سنة 1940 الحرب على بريطانيا وفرنسا كي لا يفوته الظفر بنصيب من الأسلاب التي غدت الآن في نظره سهلة المنال الدانية القطوف (33).

وكان مويوليني - عند إعلان الحرب على بريطانيا - يتطلع إلى القطر المصري تستهويه ثروته وموارده الطبيعية ثم أهمية موقعه ولأن الاستيلاء على مصر معناه الاستيلاء على قناة السويس وتهديد مواصلات بريطانيا مع مستعمراتها ودول الكومنولث، بل هو تهديد أيضاً للوجود البريطاني في الشرق الأوسط.

(30) تا- يخ أوروباني العصر الحديث ص 647.

(31) نفس المرجع صفحة 653.

(32) نفس المرجع صفحة 660.

(33) نفس المرجع صفحة 672.

الحرب العالمية الثانية

أنشأ البريطانيون في منتصف سنة 1939 قيادة جديدة أطلق عليها قيادة الشرق الأوسط ، و كان سبب إنشاء هذه القيادة الظروف التي جذت في السنوات الأخيرة من توقع نشوب الحرب إلي ما تعلقه بريطانيا دائماً علي الشرق الأوسط من أهمية حيوية استراتيجية بالنسبة لمواصلاتها إلي الهند والشرق الأقصى ، و قد رأت القيادة البريطانية اتخاذ الأهمية والاستعداد لما عساه يحدث من تطلع موسولني - بعد استيلائه علي الحبشة - إلي الشرق الأوسط ، وتوقع الهجوم علي مصر، و طلبت القيادة البريطانية مضاعفة القوات (34).

موقف القوات البريطانية :

كان موقف الجيش البريطاني ضعيفاً إذا ما قورن بقوات الإيطاليين الموجودة فعلاً في برقة فقد كان لدي الجيش الإيطالي تسع فرق ، خمس منها في برقة أي 215 ألف جندي ، و كانت القوات الإيطالية و البريطانية تتكون من فرقتين غير كاملتين ، فكانت النسبة بين القوات البريطانية و الإيطالية 4:1 (35).

و أطلق علي القوات البريطانية التي تتولي الدفاع عن صحراء مصر الغربية اسم (قوة الصحراء الغربية) و وضعت هذه القوات تحت قيادة الجنرال (ريتشارد أوكورنر) الذي استدعي من مقر قيادته في جنوب فلسطين حيث كان يشغل منصب القيادة هناك و يتخذ القدس مقراً لقيادته ، و طار أوكورنر إلي القاهرة حيث أبلغه الجنرال (ميتلاند ويلسون) قائد القوات البريطانية في مصر بئأ توليه قيادة (قوة الصحراء الغربية) و مقر قيادتها مرسى مطروح ، و كانت مهمة أوكورنر كما حددها ويلسون هي حماية القاعدة البريطانية في مصر من أي هجوم إيطالي .

و كانت (قوة قيادة الصحراء الغربية) التي وضعت تحت إمرة أوكورنر تتكون من الفرقة السابعة المدرعة ، عدا لواءين مدرعين أولئك الفرق الفرقة ، و الفرقة الرابعة الهندية عدا لواء . بالإضافة إلي لواءين آخرين ، و قد أخذت طلائع القوات تراقب الحدود ، و وضع حول (بقيق) لواء هندي ، و أخذت الفرقة الرابعة الهندية في التجمع شرقي مرسى مطروح ، و أعطيت التعليمات لقواد الوحدات الأمامية - فيحالة تعرضها للهجوم - أن تقا تل متراجعة في بطن عاملة علي إنزال أفدح الخسائر بالعدو دون أن تعرض نفسها لخسائر كبيرة (36).

التحضير للقتال :

و عندما اجتاح الألمان بولندا في أول الفاتح (سبتمبر) سنة 1939 ، و دخلت بريطانيا الحرب ضد ألمانيا أخذ البريطانيون في تنفيذ الخطط التي وضعت للدفاع عن الإسكندرية وقناة السويس ، وبدأت القوات من المستعمرات و دول الكومنولث في الوصول إلي بورسعيد ، فوصلت الفرقة الأول الأسترالية ، و القوات من جنوب أفريقيا ، و نيوزلندا ، و غيرها من بلدان الإمبراطورية ، و بديء في إعدادهم للمعركة بالتدريب علي استخدام أسلحتهم الجديدة ، و تزويدهم بالمعلمين و الوحدات الأخرى ، و إرسالهم إلي المدارس العسكرية ، ثم تنظيمهم . و استكمال حاجتهم من الفنيين و الأخصائيين ، و اتجه البريطانيون بعد ذلك إلي تحسين الدفاعات في الدلتا ، و وجدوا أن العلمين هي خير مكان لمقابلة أي هجوم من الغرب ، و أخذوا في إرسال دوريات لاجتياز الصحراء و استكشافها و تمكنوا بذلك من العمل علي تعزيز الجنود علي السب في الصحراء و معرفة خصائصها فاعتادوا عليها و ألف الجميع العمل فيها (37).

(34) معارك الشرق الأوسط صفحة 26.

(35) نفس المرجع صفحة 29.

(36) معارك الشرق الأوسط صفحة 40.

(37) نفس المرجع صفحة 35.

و أسفرت معركة فرنسا عن انهيارها وخروجها من الحرب نهائياً ، و دخول إيطاليا الحرب و تولي تشرشل رئاسة الوزارة البريطانية ، و مناشدته الإمبراطورية مواصلة الحرب ، و ندائه الموجه إلي المستعمرات يحثها علي بذل المعونة للنهوض بأعباء الحرب .

و كانت القوات لدي البريطانيين قليلة و تكاد تفتقر إلي كل ما هو ضروري من المعدات و المواد الحربية ، إبان هذه الأسابيع المليئة بالكوارث : سقوط هولندا ، و استسلام الجيش البلجيكي ، و اقتحام خط ماجينو ، و الانسحاب من دنكرك ، و تهجير الجيوش الفرنسي الفرنسية و انهيارها .

و أدى انهزام بولندا و انهيار فرنسا إلي تحسين موقف ألمانيا الاستراتيجي في أوروبا ، إذ أخلت الطريق أمام جناحيها الأيمن و الأيسر .

و ضاعف موقف البريطانيين حرجاً إعلان موسوليني الحرب في 10 الصيف (يونيو) سنة 1940 ، و كأنه وقع أمر إعدامه و فناء إمبراطوريته ، لقد دخل الحرب - كما يري شيانو - وزير خارجيته مدفوعاً بكرهه لفرنسا ، و سعيها وراء اقتسام الغنائم دون المساهمة في الأخطار (38) .

كما أدى سقوط فرنسا أيضاً إلي تحويل الأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط إلي الإسكندرية ، و تحولت القوافل التي كانت من بريطانيا إلي طريق رأس الرجاء الصالح بدلاً من مرورها في البحر المتوسط ضماناً للأمن ، ثم ينقلونها بعد ذلك إلي البحر الأحمر و قناة السويس و منها إلي الإسكندرية ، و كانت قناة السويس تمثل نقطة إرتكاز بريطانيا العظمي الاستراتيجية .

و معني هذا أن النجذات التي كانت تصل في مدي إسبوعين أصبحت تقطع المسافة في ثلاثاثة أشهر ، و هذا يؤدي إلي البطء و إلي مضاعفة عدد السفن و كانت قليلة (39) .

موسوليني يعلن الحرب :

أدرك (ويغل) قائد عام الشرق الأوسط عندما أعلن موسوليني الحرب في 10 الصيف (يونيو) سنج 1940 ، أن الحرب ربما امتدت إلي الأراضي المصرية إذا حاول الإيطاليون الاستيلاء علي الإسكندرية و قناة السويس مهددين بذلك مصر باعتبارها شرياناً حيوياً بالنسبة لمواصلات بريطانيا إلي الهند و الشرق الأقصى .

و قدرت هيئة أركان حرب ويغل أن غراتسياني لن يستطيع التقدم بأكثر من فرقتين في الخط الأمامي بالنسبة لحالة المواصلات و التموين في الصحراء ، و رأي ويغل أنه حالة تقدم القوات الإيطالية فإن من الواجب علي اللواء طليعة الفرقة المدرعة السابعة إزعاج و إرباك القوات المتقدمة ، مسبباً لها الخسائر ما استطاع ، متجنباً الخسائر لنفسه .

و في نفس الليلة التي أعلنت فيها إيطاليا الحرب علي بريطانيا و فرنسا وصلت الدوريات المدرعة البريطانية إلي الحدود ، اخترقت السلك الشائك (سلك غراتسياني) و هاجمت القوات الإيطالية فأوقعت الرعب في تلك القوات ، و أزعجت القوافل المختلفة دون أن تلحقها خسائر في الرجال أو الآليات ، و كانت المفاجأة أن بعض الأسري لم يدرك أن هناك حرباً ،

(38) معارك الشرق الاوسط صفحة 39.

(39) نفس المرجع صفحة 41.

وأُسرت الدوريات في مدي أسبوع 250 أسيراً، و 17 دبابة خفيفة، و 50 سيارة، و 50 طائرة، فكانت بداية موفقة أدت إلى انسحاب الإيطاليين مؤقتاً من خط الأسلاك، ومن قلعة «كابزو» فرغت هذه الانتصارات من معنوية جنود الصحراء، وقدر غراتسياني قوات ويقل بفرقة ميكانيكية و ثلاث فرق مشاة، و لواء هندي «40» .

هجوم غراتسياني تلي مصر :-

في أوائل الفتح «سبتمبر» سنة 1940 أتم الجنرال غراتسياني حشد الجيش العاشر الإيطالي علي حدود مصر الغربية، ثم قام بالهجوم في صباح 13 الفتح «سبتمبر» و تقدمت القوات الإيطالية و عبرت الحدود، بينما أخذت القوات البريطانية خطة تقوم علي الانسحاب إلي مرسى مطروح و تنفذها الفرقة المدرعة السابعة التي كان عليها الانسحاب إلي مكان أعدها جنوبي مرسى مطروح كي تكون علي استعداد لتسييد الضربات إلي جناح الإيطاليين في حالة تقدمهم، و قد استغل البريطانيون أساليب التمويه لتضليل الإيطاليين عن مكان الفرقة المدرعة و عن قوتها الحقيقية لأنها كانت تنقص لواءين و كانت خسائر الإيطاليين فادحة إذا ما قيسست بخسائر البريطانيين «41» .

و تابعت القوات الإيطالية تقدمها تحت قيادة غراتسياني، و لم تُص أربعة أيام حتي كانت ست فرق و ثمانية أفواج من الدبابات قد تقدمت مسافة ستين ميلاً إلي سيدي براني، أُلج ذلك صدر موسوليني الذي لم يشاهد علي تلك الحالة من السور التي بدأ عليها آنذاك. و لكن الجيش الإيطالي توقف عند سيدي براني و ظل غراتسياني ثلاثة أشهر يرفض فيها التقدم بينما يصر موسوليني علي القيام بهجوم خاطف علي المواقع البريطانية في مرسى مطروح «42» .

لقد كان توقف الإيطاليين عند سيدي براني مفاجأة للبريطانيين، و اختلفت الآراء في تحليل الأسباب التي أدت إلي وقفهم هذه إذ لم يكن من السبر استنتاج مبرراتها، هل كانت بسبب نقص المياه؟ أو النقص في الحملة الميكانيكية؟ أو لأن جناح الجيش الإيطالي معرض لمذبح البحرية البريطانية؟ أو خشية انتقضا الفرقة المدرعة علي الجناح الأيمن؟ إن الجنرال غراتسياني نفسه يقول: إنه كان ينتظر إتمام مد أنابيب المياه من البردية «43» .

مسألة مالطا:-

دخلت إيطاليا الفاشستية الحرب في 10 الصيف «يونيو» سنة 1940، و كان موسوليني كثيراً ما يشيد بعظمة قواته المسلحة و مقاتليه الذين يبلغون ثمانية ملايين و الذين يمتازون بالشجاعة و رباطة الجأش .

و بعد الإنتهاء من معركة فرنسا أخذ الخبراء في توجيه أنظارهم إلي مالطا، فرما تحاول إيطاليا الاستيلاء علي هذه القلعة الحصينة التي تهدد مواصلاتها مع الشرق و شمال أفريقيا، و لتصبح خطوة أولي في تأسيس الطريق إلي ممتلكاتها الشرقية في أفريقيا، و لذلك كان يجب أن يكون هدفها الأول هو لاستيلاء علي مالطا و استئصال هذه الشوكة من جسمها «44» . و كانت مالطا محو احتلال مصر بحكم موقعها بين صقلية و قواعد الحور في ليبيا، و كانت القاذفات و الغواصات و السفن الحربية تعمل من هذه القاعدة و تنزل الدمار بالبوخر الإيطالية التي تحمل الرجال و العتاد إلي شمال أفريقيا، و مع ذلك لم تقم إيطاليا بالحرركات المتوقعة للاستيلاء علي مالطا و بخاصة أنها اعتبرت البحر الأبيض ملكاً لها «45» .

(40)، معارك الشرق الأوسط صفحة 47.

(41)، نفس المرجع صفحة 56.

(42)، بيتو موسوليني صفحة 196.

(43)، معارك الشرق الأوسط صفحة 56.

(44)، معارك الجيش الألماني في الغرب ص 144.

(45)، تاريخ ألمانيا النازية ج 3 صفحة 537.

و كانت بريطانيا - بعد استسلام فرنسا - العدو الوحيد في ذلك الحين، و كان الهدف السوقي «الاستراتيجي» الخطير هو البحر الأبيض المتوسط، و كانت بريطانيا في أمس الحاجة للطريق البحري القصير من جبل طارق ماراً بالسويس، و هو بمثابة الشريان للإمبراطورية و لهذا السبب كانت تحتفظ بمالطا مهما كان الثمن.

كان لإيطاليا مستعمرات في شمال أفريقيا و شرق أفريقيا، و كان عليها أن تدافع عليها، و كانت ألبانيا و إيطاليا نفسها غير مهدهتين و لذلك كان كل ما عليها هو حماية مواصلاتها مع مستعمراتها و قطع طريق بريطانيا البحري المار بالسويس، و كان هذا يتطلب منها الهجوم و الاستيلاء علي مالطا «46» .

و كان ميزان القوى يميل في ذلك الوقت لصالح إيطاليا فقد كان التفوق الجوي الإيطالي في منطقة البحر المتوسط مطلقاً، و كان تفوق أسطولهم علي الأسطول البريطاني في البحر المتوسط تاماً كذلك، و لم يبق سوى عامل الوقت الذي يمكن أن يقلل من شأن هذا التفوق بالنسبة لإيطاليا و عليه فإن العمل الفوري من الأمور الجوهرية في مثل هذه الحالة.

و قد كان مالطا دائماً وضعاً استراتيجياً هاماً باعتبارها مكاناً يتحكم في خطوط المواصلات بين الشرق و أوروبا و أفريقيا، و قد احتلها البريطانيون سنة 1800 و جعلوا منها قاعدة من أقوى القواعد البحرية و الجوية في إمبراطوريتهم، و بسط ضباط البحرية البريطانية و الطيران نفوذهم في مختلف مظاهر الحياة في الجزيرة، كما غيرت السفن البريطانية من صورة الميناء، فقد تم بناء أحواض للسفن و ورش للصيانة و الإصلاح في هذا الميناء الطبيعي، و هي لا تبعد أكثر من 50 ميلاً عن صقلية، و قد سخرت هذه القلعة من إدعاء موسوليني بأن البحر المتوسط عبارة عن بحيرة إيطالية، و قد أثبتت أن البحر المتوسط ما هو إلا بحر لبريطانيا العظمي العظمي، و كان علي أي قوة تريد نقل جنودها عبر هذا البحر أن تقهر مالطا أو تدفع الثمن غالباً.

و قد قال نائب أمير البحر «أسمان» الألماني: «لو كان الإيطاليون يابانيين لبدأوا الحرب في 10 الصيف «يونيو» بالهجوم علي مالطا و ذلك لأهمية مالطا الاستراتيجية، و بعد أن دخل الإيطاليون الحرب اكتفوا بمحاولة إخضاع القلعة البريطانية في البحر المتوسط بالضرب من الجو فقط غير أن هجومهم الجوي لم يكن له تأثير كبير فلم تقصف قصفاً شديداً بل كانت ضربات خفيفة متفرقة مثل وخر الدبابيس» .

و كان الألمان هم أول من اقترح الاستيلاء علي مالطا في 19 هنيبال «اغسطس» سنة 1940 إلا أن الإيطاليين رفضوا و لم تدرك القيادة الألمانية الإهمية العظمي لهذه الجزيرة إلا فيما بعد.

أما بالنسبة للبريطانيين فقد عرفوا قيمة جزيرة مالطا الاستراتيجية فأرسلوا إمدادات كبيرة إليها لمنع استيلاء الإيطاليين و الألمان علي الجزيرة «47» .

و كان البريطانيون يرسلون بواخر شحن إلي مالطا تحت حراسة مشددة صحية عدد من السفن الحربية و حاملة للطائرات تحمل الطائرات للجزيرة بينما تحمل سفن الشحن الجنود و العتاد و المون حيث تقوم الطائرات البريطانية بعد ذلك من مالطا فتهاجم قوافل التموين الإيطالية المتجهة إلي شمال أفريقيا، و لم تكن السفن و لا الطائرات الإيطالية تشكل تهديداً كبيراً لمثل هذه القوافل «48» .

(46) معارك الجيش الألماني في الغرب ص 146.

(47) ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 153.

(48) ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 156.

الاستعداد للمعركة المقبلة

أعطى جمود غراتسياني في موقعه عند سيدي براني لأعدائه البريطانيين - وهم شعب يتميز بالذكاء و المتابعة و العمل الدؤوب - الوقت ليستعدوا لمواجهة أي تقدم آخر للإيطاليين فأقاموا دفاعاً جيداً عن مصر حشدوا له القوات من كافة أنحاء الإمبراطورية البريطانية .

الموقف بعد الهجوم الإيطالي :-

— أدي الهجوم الإيطالي علي مصر إلي ازدياد أهمية الدفاع عنها جويّاً وبحريّاً وبخاصة الإسكندرية و السويس .
— أتخذت إجراءات أمن مشددة لمقاومة أعمال التجسس و التخريب ، مدت أنابيب للنفط من السويس إلي الإسكندرية حيث كان ينقل بالسفن من الحلية الفارسي إلي السويس .
— أصبح علي القيادة البريطانية أن تواجه قوات تفوقها بنسبة 4 : 1 ، و أن تعالج النقص في الذخيرة و المعدات و العتاد والآليات «49» .

ويفل :

ولد «ارشبيلد ويفل» في 5 الماء سنة 1889 ثم انضم إلي كلية «ساند هرس» حيث تخرج منها و عُين في سنة 1901 ضابطاً ، التحق بعدها بكلية أركان الحرب ، و خاض بعد تخرجه منها غمار الحرب العالمية الأولى .
عمل بعدها رئيساً لهيئة أركان الفيلق العشرين في فلسطين ، ثم تولي قيادة اللواء السادس للمشاة ، بقيادة الفرقة الثانية مشاة سنة 1935 ، و استلم في هنيال «اغسطس» سنة 1937 القيادة بفلسطين .

و كانت الاضطرابات في فلسطين - في ذلك الوقت - علي أشدها ، و أبدى ويفل وجهه القويح بما اتخذه من إجراءات لقمع العرب تمثلت في تنظيم «جماعات الليل الخاصة» التي يقودها الميجر «وينجت» مستعيناً في ذلك باليهود و بالكلاب المدربة في تتبع رجال المقاومة العرب ، و قد فرضت هذه الجماعات علي البلاد حكم الإرهاب و أدت إلي قتل الكثيرين من العرب .

و قد أُثيب «وينجت» علي ما قام به بوسام الامتياز . و رد العرب عليه ببث الألغام في طريقتهم فسببت لهم خسائر كبيرة كان من بينها ابن ويفل نفسه ، و أطلق العرب علي الجنرال ويفل لقب «الواغل في دماء الشرق» بسبب هذه الأعمال «50» .

وفي سنة 1937 أسندت إلي ويفل القيادة في جنوب إنجلترا ، و في سنة 1939 تلقى أمراً بالسفر إلي القاهرة لتولي قيادة الشرق الأوسط التي كان مقرها هناك .

الحرب في الصحراء :

أخذ البريطانيون في العمل بجذ لفهم خصائص الصحراء و كيفية العمل في أجوائها ، و عن أفضل السبل التي يمكن سلوكها للاستفادة من خصائصها و أجوائها ، فتعاملوا معها عن قرب و تحولوا في أرجائها ليسبروا أغوارها ، و جربوا آلياتهم و وسائلهم الحديثة في الظروف الصحراوية المختلفة ، فأدركوا أهمية الوسائل الميكانيكية في الصحراء التي تمتاز باتساع أرجائها ، و التي

(49) معارك الشرق الأوسط صفحة 44.

(50) معارك الشرق الأوسط صفحة 23.

تعطي مجالاً كبيراً للمناورة و تختلف اختلافاً كلياً عن حرب المواقع الثابتة، و توصلوا إلى آراء حديثة في الحرب الصحراوية عجز الإيطاليون عن الوصول إليها إني ما يضاهاها فأصيبوا بهزيمة فادحة .

وقد وضع البريطانيون قواعد و ترتيبات تناسب الحرب الصحراوية و تمكنهم من الانتصار اعتمدوها و قرروا العمل بها . أخذت القيادة البريطانية تعمل لكسب الوقت و خاصة أن اتساع الصحراء يخلق ظروفاً حسنة للقيام بالمناورة ، و لذلك فقد قررت الانسحاب و التخلي عن الأرض فعملت بذلك علي تقصير خطوط مواصلاتها و إطالة خطوط مواصلات العدو فيسهل بذلك تهديدها .

و كان أمام البريطانيين عدو يفوقهم في المعدات و السيارات الحديثة و الطائرات فكان عليهم أن يتجنبوا القتال العنيف في هذه الحالة ، و أن يقتصدوا ما استطاعوا في وسائل النقل و السيارات المقاتلة «51» .

و أدرك البريطانيون خصائص الصحراء تلك المساحات الشاسعة التي تتطلب في الحروب الحديثة الوسائل الآلية التي تهنيء لها سرعة الانتقال و خفة الحركة و هما عماد النصر في تلك المساحات الشاسعة .

و قد تنبه البريطانيون إلى أهمية الحملات الميكانيكية في الحروب الحديثة و بالذات في الصحراء و شغلتهن المشاكل المتعلقة بها مثل : تموينها، و توفير الأعداد اللازمة منها، و توفير الأيدي العاملة لإصلاحها، و أثرقسوة الصحراء علي مكنية السيارة و لوالبها و إطارتها، و أهمية توفر قطع الغيار الخاصة بها، و سرعة استهلاك السيارة بحيث قدر الخبراء عمر السيارة في الصحراء بمعدل ثلث عمرها في الظروف الأخرى «52» .

كما كان يعتمد في نقل المياه إلى الجنود علي الحملات الميكانيكية، فأدرك البريطانيون من باديء الأمر أن الماء هو الآخر عامل حيوي في عمليات الصحراء فعملوا علي مد أنابيب المياه من الفرع الغربي للنيل إلى مرسى مطروح .

مجموعة الصحراء بعيدة المدى :

و في نهاية شهر الصيف « يونيو » سنة 1940 ألفت « مجموعة الصحراء بعيدة المدى » و اختير لها قائد خبير بالصحراء في سنوات ما قبل الحرب هو الكولونيل « جانبولد » و زودت بالسيارات و مدافع الماكنية و اللاسلكية، و اختار لها جانبولد الجنود و دربهم علي العمل في الصحراء، و مهمتها هي الاستكشاف و جمع المعلومات عن الأماكن الصحراوية غير المطروقة من قبل .

و قد تم التوسع في هذه المجموعة بعد ذلك، و كان من مهامها إثارة الاضطراب خلف خطوط العدو و استطاعوا الاستيلاء علي واحة الكفرة بمساعدة الفرنسيين، و تمكنوا بذلك من إزعاج غراتسياني أثناء تقدمه إلى مصر «53» . و قد كلفت مجموعة الصحراء بعيدة المدى بالقيام بأعمال التخريب و التخبرات في الصحراء، و يقابلها عند الألمان قوة « براندبرج » للعمل خلف خطوط العدو، و كانت « مجموعة الصحراء بعيدة المدى » البريطانية مشكلة من فئائين متطوعين و مقرهم في واحة سيوه، ثم بعد ذلك في واحة الكفرة، و من مقر قيادتهم هذا كانوا يقومون بغاراتهم الجريئة خلف خطوط الأعداء بنات الأميال، و من أعمالهم البارزة الهجوم علي مطارات العدو التي تقع علي بعد 350 ميلاً خلف تلك الخطوط،

(51)، معارك الشرق الأوسط صفحة 46.

(52)، نفس المرجع صفحة 47.

(53)، معارك الشرق الأوسط صفحة 51.

و كانوا يقومون بغاراتهم في عربات خفيفة و قليلة و لمدة «طويلة تصل إلى أسابيع ، حيث يصلون إلى مطارات العدو و يدمرون كل مقاتلة و قاذفة في المطار ، و ينسفون مستودعات البترول ، و ينزلون بالاعداء خسائر فادحة مع أخذ بعض الأسري أثناء عودتهم آلي كهوف واحة سيوة.

و من ضمن العمليات الجريئة التي قامت بها و حداثا المجموعة تلك العملية التي جرت في شهر الحارث « نوفمبر » سنة 1941 و التي كان الغرض منها قتل أو أسر « رومل » قائد الفيلق الأفريقي و لكن المحاولة رغم جسارتها انتهت بالفشل « 54 » . و في أواخر سنة 1941 شكل الجنرال « أوكل » ما يعرف باسم طوابير « جوك » و هي عبارة عن قوات خفيفة الحركة مشكلة من عدد من الدبابات و العربات المدرعة و المشاة الميكانيكية تحمل معها كمية من الوقود و الذخيرة و تعيينات تكفيها لمدة أسبوع ، و شكلت هذه القوات تحت قيادة العميد « جوك كامبل » و كانت مهمتها التوجه إلى مؤخرة العدو و مهاجمة كل شيء هناك ، و في خلال يومين أو ثلاثة كان لديه عشرون أو أكثر من هذه المجموعات خلف خطوط العدو و تحرق و تدمر ثم تنطلق هاربة ، لتعود بعد ذلك فقيم الكمائن في الوديان للدبابات و تحطم خطوط التليفونات ، و تهاجم قوافل التموين و المطارات و تحصل علي المعلومات ، و كان هذا كسباً للوقت حتي يتمكن الجيش الثامن من إعادة تنظيم قواته « 55 » .

و قد قامت « مجموعة الصحراء بعيدة المدى » بمحاولة جريئة أخرى في الفاتح « سبتمبر » سنة 1942 عندما رأى العقيد « جون هاسليدين » قائد مجموعة الصحراء بعيدة المدى أن بإمكانه توجيه ضربة قاتلة إلى إمدادات رومل و خاصة الوقود ، و ذلك بنسف مستودعات البترول الضخمة في طبرق ، و وجدت هذه الخطة كثيراً من المؤيدين و سرعان ما كبرت الخطة الأصلية فلم يعد الأمر مقصوراً علي القيام بنسف مستودعات انقط بل كذلك ورش الإصلاح الموجودة في طبرق ، و كان ذلك يتضمن تدمير وحدات الصيانة التي تقوم بإصلاح دبابات رومل و عرباته ، و فشلت هذه العملية أيضاً بعد أن قتل « هاسليدين » قائد مجموعة الصحراء بعيدة المدى « 56 » .

إن إنشاء الوحدات الخاصة مثل « مجموعة الصحراء بعيدة المدى » و « طوابير جوك » قد نتج عن نشاطها تأثير عكسي ، فقد أنشأ الألمان قوات « البراندبرج » للعمل خلف خطوط العدو ، و قامت بنفس المهام من حرق و تدمير خلف خطوط البريطانيين ، و كانت هذه القوات هي القوات المضادة لمجموعة الصحراء بعيدة المدى و طوابير جوك ، و تمكنت من الوصول في مهامها الجريئة إلى مشارف القاهرة ، و العمل خلف قيادات العدو ، و نسف الكباري ، و إنشاء مراكز التصنت ، و إنزال الحسائر الفادحة بالعدو خلف خطوته « 57 » .

خطة المفدءاء علي غراتسياني

مرت الأسابيع و الشهور و مازال غراتسياني جامداً في دمرقه عند سيدي براني فأعطي ذلك فرصة للبريطانيين للتجهيز و حشد القوات ، فأحضروها من كافة أنحاء الإمبراطورية ، و الأهم من ذلك إحضارهم للقوات الميكانيكية « و من ضمنها مدرعات كثيرة إلى الجبهة في مصر ، و كانت المدرعات البريطانية متفوقة للغاية علي المدرعات الإيطالية من حيث النوع و التسليح « 58 » .

(54) ثلج الصحراء جـ 1 صفحة 71.

(55) نفس المرجع 1 صفحة 144.

(56) ثلج الصحراء جـ 3 صفحة 374.

(57) نفس المرجع صفحة 110.

(58) مذكرات رومل جـ 2 صفحة 3.

وأخذت القوات البريطانية في إعداد خطة تقضي بها علي غراتساني ثم تنهياً بعدها للهجوم ، وبدأت في دراسة المواقع الإيطالية ، فأرسلت دوريات الاستكشاف الأرضي والجوي التي أفادت أن العدو قد أجري تحصين ثلاث مجموعات من المعسكرات في جبهة سيدي براني ، تسير بانحراف مبتدئة من «المقتلة» إلى الشمال الشرقي قريباً من الساحل ، إلى «نبوة» في الوسط ، ثم إلى «صوفاتي» في الجنوب الغربي ، وقد حُصنت المعسكرات بحقول الألغام والأسلاك الشائكة والخفر المضادة للدبابات ، فكانت المعسكرات موزعة علي مساحات شاسعة تجعل المعاونة بينها عسيرة «59» .

و رأي ويفل في بداية الأمر الهجوم علي طرفي الجبهة الإيطالية التي تمتد مسافة خمسة وأربعين ميلاً في الصحراء ، فتهجم الفرقة المدرعة السابعة علي معسكرات الإيطاليين في «صوفاتي» في الجنوب الغربي ، و الفرقة الرابعة الهندية علي معسكرات العدو في شرق سيدي براني ، فإذا نجح الهجوم تقدمت الفرقة المدرعة لاستغلال النجاح شمالاً ، و الفرقة الرابعة الهندية إلى الساحل غرباً .

و وافق الجنرال أكونر علي خطة ويفل مع تعديل طفيف ، إذ كان يفضل الهجوم علي معسكرات الوسط ، لأن معسكرات صوفاتي قوية تستعصي علي الهجوم بالمواجهة ، مع تثبيت المعسكرات علي الجانبين بقوات صغيرة ، و وافق ويفل علي الخطة . أما موعد الهجوم الذي يجب أن يتم في ضوء القمر ، فقد تقرر تحديد مواعده في الأسبوع الأول من ديسمبر بدلاً من نهاية أكتوبر أكتوبر إتباعاً لرأي قائد الفرقة السابعة و المدرعة و الفرقة الرابعة الهندية حيث أن بعض الوحدات لم تكن استكملت التدريب و التسليح ، و حاجة السيارات للإصلاح .

وأطلق علي هذه الخطة اسم «عملية البوصلة» و رأي ويفل أنه لما كان العدو يتفوق عليه عددياً فقرر مفاجأة العدو و التزام خداعه و تضليله ، و لهذا لم يعلن الخطة لأكثر من ستة من رؤوسه «60» .

ثغرة نبوة :-

و قد اكتشف الجنرال «أكونر» بعد دراسة الأرض ، و من تقارير الخابرات ما سُمي فيما بعد بثغرة «نبوة» و أدرك أهميتها التكتيكية العظيمة و استغلها إلى أقصى حد ، فأمر أن تمر منها وحدات الفرقة الرابعة الهندية ، و تستولي علي المعسكرات الشمالية من الخلف متجنباً بذلك خطر الهجوم عليها مواجهة خلال حقول الألغام ، و كلفت الفرقة المدرعة بأن لا تسمح للعدو بإنشاء نقطة في «ثغرة نبوة» و إبقائها مفتوحة ، فلما حاول الإيطاليون ذلك في منتصف نوفمبر أجبروا علي الانسحاب تاركين للبريطانيين السيطرة عليها .

و عندما قامت الف - قة المدرعة السابعة بإرسال دوريات تجوب منطقة العمليات التي تقرر الهجوم عليها حتي تساعد علي رسم خريطة دقيقة للمنطقة ، اكتشفت هذه الدوريات أن الإيطاليين قد اهتموا ببث حقول الألغام و الخفر المضادة للدبابات في مواجهة المعسكرات فقط أما حولها من الأجانب و الخلف فكان خالياً منها ، و قد استكشف الموقع قواد الأولوية المكلفة بالخطوط الأولى في المعركة قبل العملية بأسبوعاً دون أن يعرفوا سر الخطة إلا في الساعات الأخيرة .

(59) معاً - لك الش - ق الأوسط صفحة 63.

(60) معاً - لك الش - ق الأوسط صفحة 60.

و أجري البريطانيون في نهاية نوفمبر تدريباً تكتيكياً علي معسكرات هيكلية صنعت قريباً من مرسى مطروح مطابقة تماماً لمعسكرات «نبوة» و«طومار» ، و اشتركت في الهجوم عليها الفرقة الرابعة الهندية ، و دبابات المشاة ، و لم يعرف أحد من الجنود سر هذا التمرين باستثناء عدد قليل جداً و ذلك حتي تضمن السرية ، و تتحقق تبعاً لذلك المفاجأة ، و هو ما توخاه البريطانيون ، و أصدر الجنرال «ويلسون» قائد القوات البريطانية في مصر عقب مذكرة عن الهجوم علي المعسكرات فيها بعض الملاحظات أعلن في ختامها عن نيته في إعادة هذا التمرين في تاريخ تاريخ يحدد فيما بعد .

و قد قرز ويقل بعد أن إطمئن علي خطط سيدي براني أد: يبذل جهده في استغلال الفوز في المعركة المقبلة في مطاردة لا هوادة فيها ، و قد أكد له أركان حربه في إدارة العمليات أنه لا يمكن إجراؤها إلا لمدة أربعة أو خمسة أيام علي الرغم من تحسين موارد المياه و البترول و المركبات و الذخيرة في المنطقة الأمامية ، و لكن هناك أمل في الانتفاع بما يستولي عليه من العدو ، فأصدر أمره باستغلال الغنائم إلي أقصى حد «61» .

و 4 الكانون «ديسمبر» سنة 1940 ناقشت قيادة الشرق الأوسط خطة سيدس براني و توني الجنرال «أكورن» بيان تفاصيل الخطة ، ثم شرح مندوبو البحرية و الطيران الدور الخاص بكل منهما في هذه المعركة . فكان علي البحرية أن تبدأ ضرب سيدي براني في الليل قبل الهجوم ، و نظراً لتفوق الإيطاليين في الطائرات بنسبة 1:4 فقد تقرر المبادرة بضرب طائرات العدو و هي جاثمة في المطارات حتي يجبر العدو علي اتخاذ وضع الدفاع ، ثم إزعاج حركته بمهاجمة جنوده و سياراته خلف خطوط الجبهة «62» .

(61) معاً لك الشـ في الاوسط صفحة 64.

(62) نفس المـ جمع صفحة 67.

المهزيمة في براني

خطة المعركة :

كانت الخطة البريطانية بسيطة وجريئة، إذ تتطلب ضبط المناورة في الصحراء مع توخي الدقة التامة في تنفيذ المواعيد المرسومة لسير الاقتراب وللفتح والتشكيل الفعلي للمعركة.

و كانت القوات البريطانية تتكون من الفرقة السابعة المدرعة، و الفرقة الرابعة مشاة الهندية، و كتيبة دبابات ثقيلة هي الكتيبة السابعة، و لواءين مشاة بريطانيين، و كان مجموعها 31 ألفاً من الجنود و تشمل علي 275 دبابة منها 35 دبابة ثقيلة «63».

أما القوات الإيطالية الموجودة في الجبهة فكانت تتألف من حوالي أربع فرق يبلغ عدد جنودها 80 ألفاً، و خصصت إحداها للدفاع عن المعسكرات الشمالية ورأسنتها في براني، و وضع جزء من فرقة أخرى في معسكرات صوفاتي، و الجزء الآخر بصفة إمداد لفرقة الشمال و مقرء استنها في بقب، و وضعت فرقة ثالثة بالخلفاية علي الحدود، و احتلت الفرقة الأخيرة وهي فرقة «ماليتي» المدرعة «نبوة» و كانت تساندها 120 دبابة، و أخذ الجنرال الجنرال غراتسياني قائد الجيش العاشر الإيطالي مقر قيادته في البردية علي بعد خمسين ميلاً خلف الجبهة «64».

و قد قامت القوات البريطانية بتحركاتها من منطقة تجمعها حول مرسى مطروح إلي الثغرة بين نبوة و صوفاتي، و لقد ساعدت الظروف هذه القوات في الوصول إلي الثغرة إذ كان الجو عاصفاً مليئاً بالغبار بحيث حجب الرؤية فلم تظهر في الجو أي طائرة إيطالية، و لعل الهجوم علي المطارات قد أفاد في ذلك، و كان علي هذه القوات التقدم مسافة ستين ميلاً في أرض مكشوفة إلي نقطة التجمع جنوبي «ثغرة نبوة» بسرية تامة حتي لا يكشفها العدو «65».

و كانت مسافة الاقتراب حوالي ستين ميلاً، لذلك أصبح من الضروري إجراء التحرك خلال ليلتين متواليتين بحيث لا يجري أي تحرك في النهار ضماناً للسرية.

و لم تغادر التشكيلات و الوحدات مناطق حشدها حول مرسى مطروح حتي آخر وقت ممكن، و تم التحرك ليلتي «8،7» الكانون «ديسمبر» علي أن يتم في الخامسة عشر ميلاً الأخيرة في ضوء القمر حتي يسهل توزيع القوات القوات المشتركة في المعركة بحسب المواقع المحددة «66».

و هكذا كانت القوات البريطانية في ليلتي «9،8» في خط الهجوم دون أن يدري العدو عنها شيئاً. و كانت الخطة البريطانية تقرم أساساً علي الهجوم بلواءين من الفرقة الرابعة الهندية تعاونها كتيبة دبابات، و عد اجتيازها ثغرة نبوة، و ذلك فجر يوم 9 الكانون «ديسمبر» تلف الفرقة شمالاً ثم شرقاً لاقتحام معسكر نبوة من الخلف - أي من الغرب - و بعد الاستيلاء عليه تقوم بإجراء هجوم ثان من الغرب أيضاً علي طومارو «النقطة 90» و مهاجمتها علي التوالي ثم استغلال النجاح بالتقدم شمالاً.

و كان واجب الفرقة السابعة المدرعة إبان هذه الفترة الحاسمة من الهجوم هو ستر الفرقة الرابعة الهندية و حماية جناها الخارجي «أو الغربي» و مراقبة العدو في صوفاتي، و تثبيت حماية سيدي براني و منعها من القيام بهجوم مضاد علي الفرقة الهندية، فإذا أخفقت الخطة كان عليها أن تستر انسحاب الفرقة الهندية. أما في الشمال فكان واجب قوات مرسى مطروح

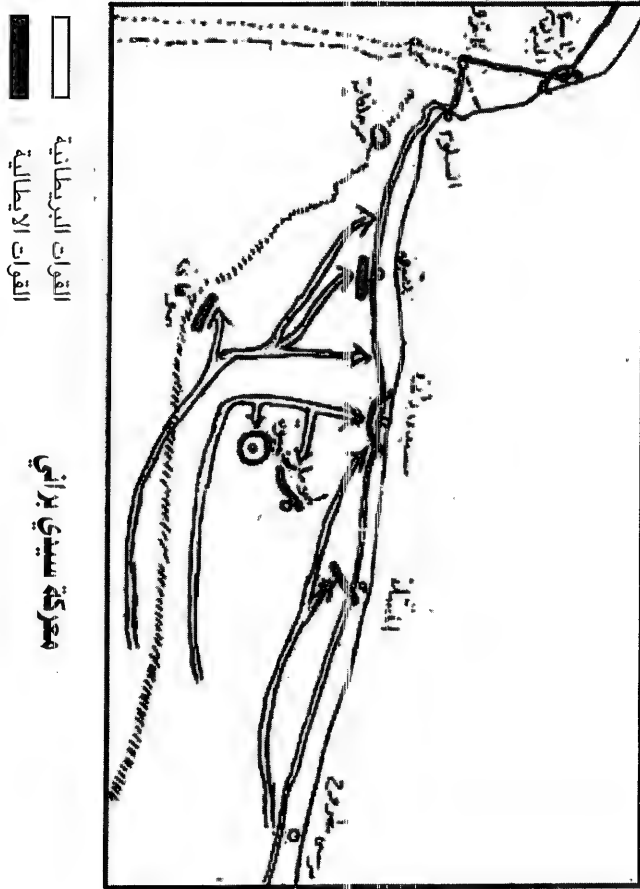
(63) م-ك-ات-ومل ج-2 صفحة 5.

(64) مع-ك-الثن-ق الأوسط صفحة 68.

(65) نفس الم-جع صفحة 70.

(66) الت-يخ العسك-ي صفحة 31.

أن تتقدم علي الطريق الساحلي لتثبيت حامية « المقتلة » و «نعمها من حماية « طومار » و « النقطة 90 » أثناء « هجوم الفرقة الهندية عليها .
و ابتدأت المعركة ولم يكن هناك من الاحتياطي لمواجهة الطواري تحت الجنرال « أكونر » سوي لواء من الفرقة الرابعة الهندية ، وسريين من الطائرات المعاونة « 67 » .



(67، معاك الشق الأوسط صفحة 70).

معركة سيدي براني :-

وفي فجر يوم 9 كانون «ديسمبر» سنة 1940 انطلق الهجوم البريطاني مباغتاً كالعاصفة ، و قد مهد الطيران للهجوم فقامت كل طائفة متيسرة للبريطانيين من كل الأنواع بضرب المواقع الإيطالية ، و المطارات ، و خطوط المواصلات ، و الآليات ، كما قامت أسراب المعاونة الجوية بالاستطلاع و ضرب الأهداف الأرضية .

وفي نفس الوقت قام الأسطول البريطاني بضرب المقتلة و سيدي براني و خط المواصلات البري غرباً حتي السليم . و تقدمت المشاة البريطانية من الشرق تساندها الدبابات الثقيلة و أخذت تهاجم المواقع الإيطالية في سيدي براني و كان ذلك يتمشى من الناحية الزمنية مع القوات المتلفة القائمة بالهجوم ، و استمر كذلك قصف الأسطول البريطاني للمواقع الإيطالية و انقض كل ذلك علي الإيطاليين كالصاعقة .

و مع مرور الوقت بدأت نتائج التحركات البريطانية ، و مانج عنها من انتصارات مذهلة في الظهور ، فقد سقط مسكر نبوة و تم أسر 4000 آلاف جندي ، و استمرت الفرقة الرابعة الهندية في تقدمها شمالاً و أمامها الكتيبة السابعة دبابات و أخذت تهاجم القوات الإيطالية في سيدي براني نفسها ، أما الفرقة السابعة المدرعة فقد بلغت بقبي و قطعت بذلك طريق الارتداد علي الإيطاليين غرباً «68» .

و أخذ مع مرور الوقت يزداد عدد الأسرى ، و كميات الغنائم من مهمات و مركبات و محروقات ، و مياه في أيدي البريطانيين ساعة بعد أخرى ، و بعد ثلاثة أيام من بدء المعركة سُحقت تماماً قوات الجيش الإيطالي في منطقة سيدي براني ، و أبديت ثلاث فرق في الحال ، و لم ينج من هذا التدمير سوى فرقة واحدة .

إسباب الهزيمة في سيدي براني :-

— لم يختر غراتسياني الأرض المناسبة للدفاع لأن منطقة سيدي براني لم يكن بها مواقع طبيعية مما اضطره إلي إطلالة المواجهة «45 ميلاً» و لم تكن قواته كافية لشغل مثل هذا الخط ، لذا ترك ثغرة بدون قوات «حوالي 20 ميلاً» استغلها البريطانيون ليمروا منها و يطوقوا جميع القوات الإيطالية في سيدي براني .

— أقيمت المعسكرات الإيطالية في سيدي براني بطريقة تعذر معها التعاون فيما بينها ، و كانت الدفاعات ضعيفة و تقتصر إلي العمق الكافي و إلي الموانع ، و بخاصة المواقع ضد الدبابات ، و أهتم الإيطاليون بالدفاع عن الشرق و الجنوب و أهملوا الدفاعات من الشمال و الغرب فساعد ذلك علي سرعة انهيار هذا الموقع .

— كان الدفاع في سيدي براني عبارة عن خط غير حصين ، متقدم و مثبت في الصحراء ، تربص فيه معظم القوات الإيطالية .

— لم يستغل الإيطاليون خفة حركة مجموعة «ماليتي» المدرعة بوضعها في الموقع الأول للدفاع ، فحرم علي غراتسياني من استخدامها كاحتياطي خفيف الحركة يستخدمه في الوقت المناسب لصد الاختراق أو التطبيق .

— لم يقيم الإيطاليون بإخفاء أو غويه أوضاع قواتهم فظلت مكشوفة مما سهل على البريطانيين الاستطلاع و الحصول على المعلومات الكاملة عن دفاعات سيدي براني «69» .

(68) مذكرات رومل جـ 2 صفحة 4.

(69) التاريخ العسكري صفحة 40.

المطاردة:-

كانت معركة سيدي براني أول فوز للبريطانيين في الحرب العالمية الثانية، وجاءت نتيجة لعمليات هجومية جريئة، و يعود الفضل في هذا الانتصار إلي ويفل صاحب الخطة الأساسية بما اتخذه من إجراءات راعي فيها السرية فحققت له الانتصار، وإلي أوكونر الذي عدل خطة ويفل، و اكتشف الثغرة واستغلها في القضاء علي القوات الإيطالية. لقد نجح ويفل في تحويل الهجوم الذي أراده إغارة علي نطاق واسع، إلي هجوم عام و مطاردة أدت إلي تدمير الجيش العاشر الإيطالي تماماً، و إلي طرد الإيطاليين من مصر و من برقة.

و أخذ غراتسياني يتفهم ببقايا جيشه العاشر تلاحقه الفرقة المدرعة السابعة، وفي نهاية الأسبوع «أي في يوم 16/2/1940» كان قد وصل إلي الحدود الليبية منهك القوي بعد أن خلف وراءه 38 ألف أسير، و 240 مدفعاً، و 70 دبابة، إلي جانب المركبات و البترول و المواد الأخرى، و لم يقلت من الفرقة السابعة سوى فرقة واحدة «70». وكان من الواضح ان الانتصارات البريطانية قد أدت إلى إصابة الإيطاليين بالسلل، فانسحبونهم في البردية وطبق، وانتظروا التصرف الذي سيفعله أعداؤهم «71».

استمرار المطاردة :

حثت الحكومة البريطانية ويفل علي مطاردة الإيطاليين في برقة لاستثمار النصر الذي حصل عليه دون أن يصرفه ذلك عن أي هدف آخر. و كانت مشكلة التمويل تلح علي القيادة البريطانية إلي الاستعانة بالأسطول البريطاني في إخلاء الأسري.

البردية :

و اتجه البريطانيون بعد ذلك إلي البردية، و ظهروا أمامها في 19 الكانون «ديسمبر»، و قد علموا أن المدينة قوية التحصين و يدافع عنها عدد من الفرق، و لم يشأ ويفل أن يخاطر بالهجوم عليها قبل تمام الاستعداد، و ذا أمرت الفرقة المدرعة السابعة بتفادي البردية و الاتجاه إلي طريق لقطع الطريق بين المدينتين، و طلب من البحرية و الطيران دك دفاعات البردية «72». وفي 3 أي النار «يناير» سنة 1941 قامت الفرقة السادسة الاسترالية بالهجوم لأول مرة لها في هذه الحرب، بعد أن حلت محل الفرقة الرابعة الهندية. و قد اقتحمت المشاة الاسترالية البردية تحت ستر من قنابل السلاح الجوي و قذائف الأسطول، فأدي ذلك إلي سقوط القلعة في أيدي المهاجمين بما فيها من موارد المياه و البترول. ثم أسر 45 ألفاً من الجنود و الاستيلاء علي 462 مدفعاً.

طريق :

و استمر الجيش البريطاني في المطاردة بالتقدم نحو الغرب و حوصرت طريق في 6 أي النار «يناير» سنة 1941 بواسطة الفرقة المدرعة السابعة، و لم تتهاجم بالفعل إلا بعد حشد الفرقة السادسة الاسترالية التي بدأت هجومها في 21 أي النار «يناير» أي بعد أسبوعين، و بحلول الصباح الباكر من اليوم التالي كانت المقاومة قد انتهت تماماً، و تم أسر 30 ألف جندي و معهم 236 مدفعاً «73».

(70)، معارك الشرق الاوسط صفحة 71.

(71)، مذكرات رومل ج2 صفحة 6.

(72)، معارك الشرق الاوسط صفحة 73.

(73)، مذكرات رومل ج1 صفحة 7.

تقدمت القوات البريطانية بعد استيلاءها علي طبرق متجة إلي الغرب و هي تطارد الفلول الإيطالية المنسحبة أمامها ، فوجدت نفسها عند مفترق طريقين .

الأول : طريق الساحل المهدد ، وتلال الجبل الأخضر ، و الذي يصل إلي بنغازي .

والثاني : يقع علي زاوية قائمة إلي الخيلي ، و هي ملققي هام للدورب الصحراوية في الجنوب الغربي ، ثم يسير مخترباً بقعة جرداء لا ماء فيها في محاذة سفح الجبل الأخضر إلي اجدابيا حيث يلتقي بالطريق الساحلي من بنغازي إلي طرابلس «74» . و تقع تلك البقعة من برقة علي انحناء كبير يجعل من المتعذر الدفاع عنها ضد عدو قادم من الشرق أو الغرب ، لأن المهاجم يستطيع أن يفصلها و يعزلها دائماً بقطع طريق الصحراء القصير المار عبر خط درنة الخيلي و مسوس ثم اجدابيا «75» . و كان الجيش العاشر الإيطالي يتراجع سريعاً و بغير انتظام عبر الطريق الساحلي ، و لم يدرك الإيطاليون أهمية الأقصر الممتد جنوب الجبل الأخضر ، فدل سلوكهم هذا علي قصور الحس الاستراتيجي لديهم ، إذ لم يتبينوا أهمية هذه الطريق وخطورتها .

و أدركت القيادة البريطانية أهمية هذه الطريق ، فأرت من الأفضل قطع خط الرجعة علي القوات الإيطالية المنسحبة عبر الطريق الساحلي جنوب بنغازي ، و ذلك بالتقدم خلال خط درنة - الخيلي - مسوس - اجدابيا ، و الضغط علي الجيش الإيطالي المتراجع و كيئ الضربات له علي الطريق الساحلي بكل قوة ، فتابعه أو كونر بالفرقة الاسترالية ، و أرسل الفرقة المدرعة السابعة إلي الخيلي ثم سمح لها بأسبوع تستجم فيه و تصلح سياراتها و تنأهب بعد التموين للعمل . و وُجد أنه لو وصلت قوة صغيرة إلي اجدابيا قبل الإيطاليين لأمكن من إحراز نتائج باهرة ، و كان هذا القرار في حاجة إلي موافقة من قيادة الشرق الأوسط ، و خاصة أن بعض المختصين أبدوا مخاوفهم من هذا الطريق الذي لا يعرفون عنه شيئاً ، و الذي يحتاج إلي ترتيبات إدارية خاصة ، و لكن القيادة البريطانية في الشرق الأوسط قررت القيام بالعملية . و كان علي الفرقة المدرعة السابعة بناء علي ذلك أن تسير عبر الطريق الصحراوي حتي تصل إلي الطريق الساحلي المتجه إلي طرابلس ثم تتجه شمالاً إلي بنغازي ، أما الفرقة السادسة الاسترالية فتسير عبر الطريق الساحلي في أعقاب الإيطاليين بكل قوة «76» .

الاستسلام بقايا الجيش المتأخر الإيطالي :

و سارت الفرقة السادسة في أعقاب الإيطاليين و مكنت في 6 النوار «فبراير» من الاستيلاء علي بنغازي . أما الفرقة المدرعة السابعة فسارت عبر طريق الخيلي - مسوس في رحلة سريعة و طولها 150 ميلاً ، و بدلاً من الاتجاه شمالاً اتجهت إلي الجنوب و احتلت «بيضايف» و هو موضع يقع علي بعد 30 كم شمال شرق الزويتينة بمنطقة اجدابيا «77» . و قفلت الطريق الساحلي الموصل إلي طرابلس ، فقطعت بذلك خط الرجعة علي جيش غراتسياني أو ما تبقي منه تلك في يوم 7 النوار «فبراير» سنة 1941 ، و استسلم للفرقة السابعة المدرعة 20 ألف جندي ، و 216 مدفعاً ، و 120 دبابة .

(74)، معارك الشرق الاوسط صفحة 78.

(75)، معارك الجيش الألماني صفحة 100.

(76)، معارك الشرق الاوسط صفحة 78.

(77)، معجم معارك الجهاد صفحة 181.

وفي يوم 8 النوار «فبراير» احتلت القوات البريطانية القائدة العقيلة، وكان جيش غراتسياني قد أيبداً تماماً، ولم يبق منه إلا بعض قوات السيارات وجماعات من الجنود العزل من السلاح، وكانت تفر بأقصى سرعة نحو الغرب، وقد امتلأت قلوبهم بالرعب من واقع الهزيمة، وبلغت خسائر الإيطاليين 130 ألفاً لفاً من الأسرى، و 1300 مدفع، و 400 دبابة، كما نزلت بالسلاح الجوي الإيطالي هزيمة قاصمه علي يد السلاح الجوي البريطاني وخسر أغلب طائراته ومنشآته الأرضية «78» .

وكان البريطانيون يتحرقون شوقاً بعد انتصارهم الباهر لمواصلة الزحف إلى طرابلس خاصة وأن القوات الإيطالية الباقية هناك كانت في حالة ذعر شديد نظراً لما حل بالجيش الإيطالي، وكانت تتوقع قدوم الدبابات البريطانية في كل لحظة «79» .

ولم يوقف زحف البريطانيين علي طرابلس إلا للصعوبات، التي واجهوها في اليونان بسبب نزول القوات الألمانية في يوغسلافيا، و اجتياحها اليونان فيما بعد، مما خلق وضعاً صعباً بالنسبة للقوات البريطانية، وكان ذلك سبباً كافياً لكي يأمر «ونستون تشرشل» رئيس وزراء بريطانيا آنذاك بإيقاف الزحف علي طرابلس «80» .

(78)، مذكرات رومل جـ 2 صفحة 9.

(79)، معارك الشرق الاوسط صفحة 146.

(80)، نفس المرجع صفحة 150.

صدي إعادة الجيش العاشر الإيطالي:

أحدثت هزيمة الإيطاليين في سيدي براني، و ما ترتب عليها من إبادة الجيش العاشر الإيطالي واستسلام بقايا قواته شمال اجديا، أصداءً واسعة المدى ترددت في كافة أنحاء العالم، وقد أبدى المختصون والمهتمون بالشؤون العسكرية والسياسية، من حلفاء إيطاليا و خصومهما آراءهم بشأن هذه الهزيمة، في محاولة منهم لتفسيرها و بيان أسبابها.

تعليق :

وقد علق «وليام شيرر» في كتابه «تاريخ ألمانيا النازية» على هزيمة الإيطاليين بما يلي:
و هكذا تمكنت قوة بريطانية صحراوية قليلة العدد يبلغ عددها 31 ألف جندي من إخراج قوات إيطالية تبلغ ثلاثة أضعافها من الأراضي المصرية في مدة ستة أيام، و كان الهجوم البريطاني بدأ في التاسع من الكانون «ديسمبر» سنة 1940، و تمكن في مدي ثلاثة أيام من إلحاق الهزيمة بقوات غراتسياني، «تحول الهجوم المضاد إلي هجوم عام دام حتي السابع من فبراير سنة 1941، و تمكن الجيش البريطاني في هذا الهجوم من إبادة جيش إيطالي كامل يضم عشرة فرق في ليبيا، و يقول الكاتب العسكري المعروف «فولر» «إن هذه الحملة من أغرب ما شهده تاريخ الحروب من حملات» «81».

تعقيب موسوليني:

وقد عقب موسوليني علي الانتصار في سيدي براني موهشاً من وقع الكارثة أو صريحاً علي غير عادته، و أجمل الموقف قائلاً «لقد مخي الجيش العاشر و سرب رجيا من الوجود» و كان قوام السرب أربع مائة أو خمسمائة طائرة «82».
و كان موسوليني يقارن - فيما بعد - بين كل من رومل الذي يقاتل في دبابته المكشوفة و بين غراتسياني الذي كان يقبع في قبوه الروماني الذي يُهبط إليه بسبعين درجة تحت الأرض.
وقد أمر موسوليني بمثل غراتسياني أمام محكمة للتحقيق، فقصت بلوم ذلك الرجل الذي لم يعد يحس موسوليني تجاهه إلا بالازدراء علي تصرفه «83».

رأي الخبراء في هزيمة القوات الإيطالية :

رأي الجنرال وستفال: "84"

وقد أرجع الجنرال وستفال هذه الهزيمة إلي اسباب أهمها: لم يكن للقوات المسلحة ولا للشعب الإيطالي أهداف حربية يسعون إلي تحقيقها، كما لم يهيء الجنود لحوض غمار حرب ضد خصم أوروبي مسلح بأسلحة حديثة مما أضعف إنجازاته.
و كانت قوات الدبابات الإيطالية رديئة جداً في الرد، و في قوات النيران، و في قدرتها علي المناورة في المناطق الوعرة، كما كانت المدفعية المضادة للدبابات ضعيفة القدرة علي اختراق الدروع، و كانت قصيرة المدى سيئة تسديد النيران، و كانت المدفعية المضادة للطائرات كلها أقل مستوى لما لدي البريطانيين و كان معظمها من غنائم سنة 1918.
و كانت عجالات الترميم للقطعات غير ملائمة تماماً، و لهذا كان يتعذر حمل كميات كافية من العتاد.

(81) تاريخ ألمانيا النازية ج3 صفحة 365.

(82) معارك الشرق الاوسط صفحة 81.

(83) بنيتو موسوليني صفحة 202.

(84) الجنرال سيغفريد وستفال عمل ضمن هيئة أركان الحرب في شمال أفريقيا، و عين سنة 1942 نيساً لأركان الجيش المدرع فيها.

و كانت الضباط بجنودهم ضعيفة ، و كان الضباط القدماء مدربين و لكن تعوزهم وسائل حرفتهم .
أما الأسطول - برغم ضخامته - فكانت سفنه مبنية بذرع ضعيف من أجل زيادة السرعة ، و لم يتدرب ملاحوه تدريباً كافياً
علي الحرب الليلية التي أصبحت من مميزات الحرب الحديثة «85» .

رأى الماريشال كيسلرغ : " 86 "

و أرجع الماريشال كيسلرغ أسباب هزيمة الإيطاليين إلي الأمور الآتية :
لم يُبدِ الإيطاليون اهتماماً جيداً بالحرب و لا بجنودهم في الميدان و افتقرت أعمالهم إلي العزّة الحقة .
كما لم تستغل إيطاليا كل طاقتها البشرية إلي الحد الأقصى في الجهد الحربي للوصول بالحرب إلي النهاية المظفرة و النصر .
ضعف التشكيلات للنقص في التدريب سواء علي مستوى الوحدات أو بين الأسلحة المقاتلة .
ضعف مستوى الضبط و الربط و يرجع ذلك لعدم تحمس الجندي إلي القتال لضعف العلاقة بينه و بين الضباط الذين كانوا
يعيشون في عزلة عن جنودهم ، لذلك فقدوا السيطرة عليهم في المعركة «87» .

رأى الماريشال رومل :

لحرب المستعمرات ، و كانت معداته قديمة ، فالدبابات و السيارات المدرعة ضعيفة جداً و مدي عملها قصير ، و المدفعية من
طراز الحرب العالمية الأولى ، و المشاة تفتقر إلي الحملات الميكانيكية و لذلك فقدت مرونتها اللازمة لحرب الصحراء «88» .

(85) معارك الجيش الألماني صفحة 150 .

(86) الماريشال كيسلرغ من ضباط سلاح الجو الألماني تولي قيادة القوات الألمانية في إيطاليا ثم نقل بعد ذلك إلي الجبهة الغربية .

(87) التاريخ العسكري صفحة 39 .

(88) مذكرات رومل جـ 2 صفحة 1 .

الجزء الثاني

دخول الألمان إلى حلبّة الصراع

الانتصارات الألمانية الأولى

دخول الألمان إلى حلبة الصراع وجدت إيطاليا نفسها في بداية سنة 1941 أي بعد هزيمتها في شمال أفريقيا ومحو الجيش العاشر في شمالي اجدابيا، في أحرج المواقف ولم تنص علي دخولها الحرب ستة أشهر. وتأثر الإيطاليون بهذه الهزيمة تأثراً كبيراً بحيث ظل موسوليني وجنرالاته فس روما يرتعدون من الرعب بعد الحملة التي شنّها البريطانيون عليهم لمدة 92 يوماً.

وأصبح من المتعذر علي ألمانيا وهي حليفة إيطاليا أن تبقي متفرجة فقط، بينما كان لا يزال هناك أمل في التخلص من الكارثة المحدقة بالعمل الموقوف، خاصة وأن ألمانيا أخذت الآن تزيد من مسؤوليتها في إدارة الحرب في البحر المتوسط، وكان من واجبه أن تحول دون تردي الموقف في شمال أفريقيا «89».

و رأي الإلمان أن خسارة شمال أفريقيا يمكن احتمالها من الناحية العسكرية، ولكن ذلك سيكون له تأثير سيء علي الإيطاليين، ومن هنا فقد رأوا بذل الجهود لضمان بقاء شمال أفريقيا، وقرروا إشراك سلاح الطيران الألماني مع قوة مناسبة من الجيش تقدر بقرتين مدرعتين، وعين الجنرال إروين رومل قائداً عاماً للقوات الألمانية في إفريقيا «90».

رومل يتولى القيادة:

ولد إروين رومل سنة 1891 وعين برتبة ضابط سنة 1912، خاض غمار الحرب العالمية الأولى، وحصل علي وسام الصليب الحديدي من الدرجتين الأولى والثانية، وتمكن فيما بين الحربين العالميتين من دراسة الحرب دراسة وافية، مكنته من الإلمام بأهمية الحرب الميكانيكية، مما كان له الأثر في حياته العملية بعد ذلك.

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية تولى قيادة الفرقة لسابعة المدرعة التي اشتركت في غزو فرنسا، وفي أوائل سنة 1941 عين قائداً للقوات الألمانية التي أرسلت إلي ليبيا، ليوقف انهيار القوات الإيطالية، ويساعد بقواته علي الاحتفاظ بطرابلس التي توشك علي السقوط في أيدي القوات البريطانية «91».

وفي يوم 12 النوار «فبراير» سنة 1941 وصل رومل إلي طرابلس حيث حطت طائراته ظهراً جنوب المدينة، وأخبر أن الجنرال غراتسياني تخلي عن القيادة وسلمها إلي رئيس أركانه الجنرال «غاربولدي» ووصفت لرومل بعض الحوادث الخفية التي وقعت أثناء الانسحاب أو بالأحرى «الهرب»، فقد ألفت القوات الإيطالية أسلحتها وذخيرتها، وتسقلت السيارات الحملة في محاولة يائسة للهروب نحو الغرب، وكانت الروح المعنوية منهارة إلي أقصى درجة في الدوائر العسكرية في طرابلس، وكان أغلب الضباط الإيطاليين قد حزموا أمتعتهم بأمل الرحيل بسرعة إلي إيطاليا «92».

عيسى يوسف النورثي

(89)، معارك الجيش الألماني في الغرب ص 190.

(90)، ثعلب الصحراء ج1 صفحة 11.

(91)، معارك الشرق الأوسط صفحة 184.

(92)، مذكرات رومل ج2 صفحة 17.

قام رومل علي الفور باستطلاع جوي لطرابلس ومناطق الجبهة، ووجد أن خط البريقة مرادة مناسب لإقامة خط دفاعي به لعدم صلاحيته لتحركات القوات الآلية، وأن نقطة الضعف فيه هو أنه في إمكان أي قوات مهاجمة أن تلتف عليه من الجنوب ويحتاج في هذه الحالة إلي دفاع سيار من القوات الميكانيكية لدحر ذلك الهجوم الممتد عبر الصحراء. وكان رومل يخشي أن يدعم البريطانيون قواتهم في هذا الخط فتضعب مهاجمتهم وردهم علي أعقابهم، ولذلك قرر أن يهاجم هو أولاً وقد خشي الإيطاليون من هذه الخطوة وهم لا يزالون تحت تأثير الهزعة، وحاولوا أن يشوه عنها، ولكنه قرر المضي في خطته، وأقنعهم بأن هجومه سيكون عبارة عن غارة علي نطاق واسع وليس هجوماً عاماً.

قامت القوات الألمانية بالهجوم علي القوات البريطانية المتمركزة علي طول خط البريقة، مرادة يوم 13 الربيع «مارس» سنة 1941، وأخذت القوات البريطانية في الانسحاب، وفي مساء يوم 4 الطير «ابريل» احتلت القوات الألمانية مدينة بنغازي، وواصل الألمان هجومهم فاستولوا علي الخيلي ودرنة، وقد حدث - لسوء حظ البريطانيين - أن سقط الجنرال أوكونر قائد قوات الصحراء الغربية في أسر القوات الألمانية، وكان ويقل قد أرسله في الثاني من الطير «ابريل» من القاهرة لكي يعمل علي إنقاذ برقة، وعندما كان يتجه في ليلة السادس من الطير «ابريل» إلي التميمي مركز القيادة البريطانية الجديد ضل طريقه ووصل إلي طريق درنة الشمالي، حيث حيث التقت مركبته بمركبة ألمانية أطلقت عليه النار وتمكنت من أسره، وخسر البريطانيون مجهود ذلك الرجل الذي يعد من أكبر الخبراء في حرب الصحراء، والعقل المفكر في حملة شمال أفريقيا «93».

وواصلت القوات الألمانية تقدمها فبلغت طبرق، وهي الهدف الرئيسي من الهجوم، فقد كانت ميناءً كبيراً وقاعدة للتموين، وفتح مصر، وفي 10 الطير «ابريل» حاولوا الاستيلاء عليها ولكن المقاومة العنيدة التي أبدتها البريطانيون حالت دون ذلك، واستمر هجوم الألمان فسقطت البردية في أيديهم في 11 الطير «ابريل» واحتلوا كابتنزو في 13 منه، واحتلوا بعدها السلوم «94».

وهكذا استعاد رومل في مدة خمسة عشر يوماً كل ما استولي عليه ويفل في مدة خمسين يوماً، مع استثناء واحد هو عدم تمكن القوات الألمانية من الاستلاء علي طبرق وظلت هذه القلعة الحصينة في يد البريطانيين.

وأصبح هذا التقدم السريع خطيراً في هذه المرحلة لأنه صار همنك جبهتان: جهة في الشرق علي امتداد خط السلوم - البردية، والثانية جهة الحصار علي طبرق، وكانت طبرق هدف الحركات لكلا الخصمين وكانت القيادة البريطانية رغي إلي سرعة نجدها، بينما كان هدف رومل القضاء علي هذا الحصن المنيع للعدو، والكائن خلفه قبل وصول النجدة إليه «95».

معركة البلطة :

وكان البريطانيون هم الأسبق في الهجوم لإنقاذ قلعتهم المحاصرة، فشنوا في صباح 15 الصيف «يونيو» هجوماً علي القوات الألمانية عرف باسم «معركة البلطة» قصد منه تدمير القوات الألمانية المدرعة في منطقة السلوم - البردية، ثم احتلال ممر حلفاية وإعادة المواصلات مع طبرق «96».

(93) ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 21.

(94) نفس المرجع صفحة 24.

(95) معارك الجيش الألماني في الغرب ص 156.

(96) ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 46.

وتمكن البريطانيون من الاستيلاء علي كابتزو وإمساعد، وهددت البردية ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء علي ممر حلفاية وهو طريق استراتيجي بالغ الأهمية لسيطرته علي طريق الإمدادات للمعركة التي تخوضها الدبابات في منطقة البردية، ولذلك كان كل شيء يتوقف علي احتلال هذا الممر، وقام الألمان بعد ذلك بالهجوم علي القوات البريطانية في منطقة البردية وممر حلفاية وأدي هجومهم إلي إحباط الهجوم البريطاني (إلي إلي تداعي الجبهة البريطانية، وأحبر ذلك البريطانيون علي الانسحاب الذي أدي إلي تفهقر غير منظم يوم 27 الصيف «يونيو»، واستمرت المعركة لمدة ثلاثة أيام، وبذلك انتهت معركة البلطة التي تعد من أكبر معارك المدرعات التي رأتها الصحراء حتي ذلك الوقت، وانتهت بهزيمة البريطانيين «97».

الهجوم المضاد الثاني للبريطانيين

أدت هزيمة البريطانيين في معركة البلطة إلي عزل ويقل عن قيادة الشرق الأوسط وتعين الجنرال «أوكنك» بدلاً منه، وقد أدت الخسائر الفادحة التي منيت بها القوات البريطانية إلي تأملهم لتكتيكات قوات رومل المدرعة، وتنظيمها وتسلحها، مما أدي إلي إدخال تعديلات جوهرية علي أسلوب وتنظيم قواتهم في الصحراء. و رأت القيادة البريطانية إعادة تنظيم «قوات الصحراء الغربية» وإنشاء قوة جديدة عرفت «بالجيش الثامن البريطاني» الذي أصبح يتكون من الفيلق 13 والفيلق 30 والفرقة 70 واحتياطي عام «98». وازداد نتيجة لذلك موقف رومل حرجاً لوقوفه أمام جبهتين، جبهة السلوم البردية، وجبهة طبرق، ولتوليه المحفل المدرع الأفريقي الذي يضم القوات الألمانية بالإضافة إلي القوات الإيطالية، وكان عليه أن يستخدم هذه القوات لمهاجمة طبرق، ويوقف التهديد الموجه إلي الجانب الأيسر لجبهته، كما أقلقته التنظيمات والتغيرات التي كان البريطانيون يجرؤونها علي قواتهم، وتعيين قائد جديد هو أوكنك لقيادة هذه القوات، وحدث ما توقعه رومل فقد شن البريطانيون في 18 الحرت «نوفمبر» هجوماً أحدث مفاجأة تامة للألمان «99».

معركة الكروسيدير "المقاتل الصليبي" :

حقق الهجوم الذي شنه البريطانيون يوم 18 الحرت (فبراير) سنة 1941 مفاجأة تكتيكية تامة، فقد اتبع البريطانيون في تحضيراتهم أسلوباً تمويهاً رافعاً أدي إلي فشل قوات المحور في اكتشاف التحضيرات لهذا الهجوم فقد فرض البريطانيون صمتاً تاماً علي أجهزة الاستكشاف و وحدات الإشارة منع قوات المحور من اكتشاف تحركاتهم إلي مناطق الحشد، علاوة علي ذلك أنهم قصرُوا تحركاتهم علي فترة الليل، وتوقفوا نهائياً عن الحركة تحت حماية وستر إجراءات إخفاء وتمويه ممتازة فشل الاستكشاف الأرضي في أماكن حشد القوات وفي تحديد اتجاه الهجوم بسبب تمويه البريطانيين لمواقعهم تمويهاً متقناً بارعاً. وكان الغرض من الهجوم البريطاني تدمير القوات الألمانية والإيطالية وفك الحصار عن طبرق ثم استغلال النجاح بالتقدم للاستيلاء علي طرعي طرابلس.

وكان علي القوات البريطانية المكونة من فيلقين أن يتقدم أحدهما وهو الفيلق 30 من الجناح الأيسر، وعليه التقدم من الحدود المصرية داخل الصحراء إلي طبرق بأغلب القوات المدرعة البريطانية، أما الفيلق الثاني وهو الفيلق 13 فيتقدم علي الساحل أولاً ليثبت الحاميات الموجودة الألمانية الموجودة في منطقة السلوم بينما تقوم المدرعات بعمليات الالتفاف ثم تتقدم

(97)، نفس المرجع صفحة 65.

(98)، التاريخ العسكري صفحة 94.

(99)، معارك الجيش الألماني في الغرب ص 157.

بعد ذلك شمالاً لعزل هذه الحاميات ثم الاستمرار في التقدم غرباً لمساندة عمليات الفيلق 30 «100».

و تصدي الألمان للهجوم البريطاني فواجهوه بمقاومة صلبة، واستمرت المعركة بينهما، و بلغت ذروتها يوم 23 الحرت (نوفمبر)، و أصيبت المدرعات البريطانية بخسائر فادحة أدت إلي تفكير الجنرال «كننجهام» قائد الجيش الثامن البريطاني في التخلي عن الهجوم و الانسحاب عبر الحدود لإتقاده ما يمكن إنقاذه مع إقامة آخر خط من خطوط الدفاع علي مشارف النيل إلا أن الجنرال أوكنلك رفض آرزء «كننجهام» و قرر مواصلة القتال و عدم الانسحاب، و أعفي كننجهام من قيادة الجيش الثامن، و عُيِّن بدلاً منها الجنرال «ريتشي» قائدًا للجيش الثامن «101»

المشارك حول طريق:

كانت المعركة لاتزال مستعرة حول طريق، و ظن رومل أنه هزم البريطانيين لذا قرر في يوم 24 الحرت (نوفمبر) القيام بغارة جريئة الغرض منها القيام بهجوم مباغت في منطقة السلوم، و منع القوات الموجودة فيها من الانضمام إلي القوات المنسحبة، بل حاول أيضاً عبور منطقة الحدود المصرية لتدمير مركز قيادة الجيش الثامن و مستودعاته، و قواعد تموينه ليقطع إمداد الجيش الثامن كله في الحلف ثم يدمره «102».

و لم يكن رومل يعلم أن أوكنلك قد أوقف الانسحاب أمام طريق، و لذا شن رومل هجومه علي البريطانيين في منطقة الحدود مستخدماً قواته المدرعة التي سحبحا من أمام طريق و فشل هجومه و تكبدت القوات الألمانية خسائر فادحة «103». و أصبح الوضع في جبهة طريق سيئاً بعد إصدار أوكنلك أوامره بعدم الانسحاب، فأعاد التماسك في القوات البريطانية، و استرددت بذلك زمام المبادرة، و هاجمت الجبهة التي أصبحت خالية بعد انسحاب الفيلق الأفريقي، و في نفس الوقت عاودت حامية طريق هجومها و اخترقت حلقة الحصار الألمانية حولها، و تعرضت الوحدات الألمانية ليران قاتلة مما دفع رئاسة أركان الفيلق الأفريقي إلى إصدار الأمر بعودة الفيلق الأفريقي إلى المنطقة الحرجة و هي طريق «104».

الانسحاب:

و في يوم 15 الكانون (ديسمبر) سنة 1941 قرر رومل بعد أربعة أسابيع من المعارك المتصلة و الخسائر الفادحة إيقاف القتال و الانسحاب، فقد ضعفت القوة القتالية للجنود لتوالي المعارك و عدم وصول الإمدادات، و كان ينوي الدفاع عن قطاع الغزاة، إلا أنه لتفادي التطويق و التدمير من عدو متفوق، أصبح أمراً لا مناص منه عن طريق الخيلي و درنة في ليلتي 16، 17 الكانون (ديسمبر) «105».

و أمر رومل قواته بالتراجع و احتلال موقع دفاعي جيد عند مرسي البريقة، و اتجهت وحدات من القوات الألمانية لإنشاء الموقع الدفاعي، بينما عملت قوات الفيلق الأفريقي كحرس مؤخرة ضد القوات البريطانية حتي يتم انسحاب القوات إلي الخط الدفاعي عند مرسي البريقة، الذي تمكنت من الوصول إليه في أوائل أي النار (يناير) سنة 1942 «106».

الألمان و حلفائهم الإيطاليون:

أدت المعارك العنيفة المتتالية إلي حدوث خسائر كبيرة بين قوات الحور نتيجة للهجوم البريطاني بالرغم من تكبد الألمان نسبة كبيرة من هذه الخسائر، إلا أن خسائر الإيطاليين كانت أكبر و بخاصة في عدد الأسرى، و يبدو أن السبب في وقوع أعداد كبيرة من الإيطاليين في أيدي البريطانيين يرجع إلي أن الفرق الإيطالية كانت في معظمها غير آلية، و قليل منها فقط كانت آلية

(104) نفس المرجع صفحة 119.

(105) نفس المرجع صفحة 131.

(106) نفس المرجع صفحة 167.

(100) مذكرات رومل جـ 2 صفحة 118.

(101) ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 114.

(102) نفس المرجع صفحة 116.

(103) ثعلب الصحراء جـ 1 صفحة 117.

وفي الصحراء يعد من اعتمد علي قدميه مفقوداً، و كانت الدبابات هي السلاح الحاسم في حرب الصحراء، ولهذا كان رومل في كل انسحاب يقرر بين أمرين، إما أن يصمد من أجل المشاة الإيطاليين، وبذلك يتعرض لفقدان جميع قواته، وإما أن يحتفظ بفرقة الآلية كقوة سيارة، وكانت هذه المشكلة تثير كثيراً من الإحراج له.

وقد استغل الحلفاء هذا الوضع في الدعاية، التي نجحت كثيراً بين الإيطاليين فقد اتهموا الألمان بأنهم يتركون حلفاءهم الإيطاليين وحدهم في المآزق الحرجة دون أن يشعروا بتأنيب الضمير وسنلاحظ أن هذا الأمر سوف يتكرر كلما جري انسحاب لقوات الحور «107».

التقدم من مرسى البريقة الى العلمين

استمر رومل في انسحابه إلي أن وصل إلي خط البريقة في 10 أي النار «يناير» سنة 1942، وقد حدث الآن أمور خففت من وطأة الهزيمة والانسحاب المريع، فقد تم نقل الأسطول الجوي الثاني من الجهة الشرقية «روسيا» إلي صقلية، وقد قلل هذا من تفوق البريطانيين الجوي الذي كان ذلك الحين مزعجاً لا يحتمل. كما أعيد فتح طريق التموين و وصلت أول قافلة في منتصف ديسمبر سنة 1941 بعد توقف دام شهرين تحمل مواداً وعتاداً كان هو الأساس للهجوم المقابل الذي قام به الألمان فيما بعد، و تمتد موضع البريقة - مرادة حوالي 60 كليومتراً، ولم تكن القوات المتيسرة تستطيع الدفاع عن الموقع ولو أفسح لها المجال عدة أسابيع لتحقيقه، و كان أكثر ما يخشاه رومل أن يتاح للجيش الثامن البريطاني الوقت لتعزيز قواته وتقوية مواقعه.

الهجوم الثاني لرومل

و قرر رومل القيام بهجوم مقابل، و كان أقل ما يمكن الحصول عليه هو تأخير هجوم القوات البريطانية، وبذلك يمكن اكتساب الوقت، أما إذا أحرز نجاحاً أولياً فحينئذ يمكن التفكير في إعادة احتلال بنغازي و حتي أقسام من برقة، و كان ذلك يتوقف علي ما يحققه من مباغته «108».

و أحاط رومل أغراض هجوكه بالسرية، و نجح في مباغته القوات البريطانية عندما شن هجومه في 12 أي النار «يناير» سنة 1942 فدخلت القوات الألمانية اجديابا في 22 أي النار «يناير» اليوم الثاني من الهجوم، و احتلت مسوس في 26 منه، و دخلوا بنغازي في 31 منه، و درنة في 4 النوار «فبراير» و استمروا في هجومهم إلي أن وصلوا إلي خليج مبة و أصبحوا بذلك أمام موضع عين الغزالة، و كان الهجوم علي هذا الموضع ثم القيام بالاستيلاء علي طريق المباغته متعذراً لعدم توفر قوات كافية ولا الخروقات اللازمة و كان لا بد من توقف الطرفين لفترة طويلة استعداداً للحولة القادمة «109».

عودة الى مسألة مالطا:

أدي الموقع الاستراتيجي الهام الذي تحتله مالطا و تسيطر منه علي البحر الأبيض المتوسط إلي معاناة قوات الحور بالخسائر المكلفة و المتصاعدة في سفن الشحن التي تنقل المواد و السداد إلي مواني شمال أفريقيا، و قد أرجع الألمان ذلك إلي الخيانة التي اتهمت بها بعض الجهات الإيطالية في روما «110».

و كانت نقطة ضعف الألمان في الصحراء هي الإمدادات، و كانت القوافل كثيراً ما تعرض للهجمات أثناء اتجاهها إلي شمال أفريقيا عبر البحر الأبيض المتوسط.

(107)، معارك الجيش الألماني صفحة 168.

(108)، معارك الجيش الألماني صفحة 162.

(109)، نفس المرجع صفحة 164.

(110)، ثلث الصحراء جـ 1 صفحة 97.

وقد خسر الألمان الحرب في شمال أفريقيا لأن القيادة العليا لم تنجح في التغلب على مشكلة توصيل الإمدادات عبر هذا البحر لعدم سيطرتهم عليه، وإذا أريد تحقيق النصر في أفريقيا كان من الضروري تحصين القوة البحرية البريطانية، وقهر وإخضاع جزيرة مالطا قاعدة الهجوم البحري والجوي على خطوط الإمداد الإيطالية والألمانية، وقد تفاقمت مشكلة الإمدادات بعد الانتصارات التي حققها رومل إذ أصبح على القيادة الألمانية أن تتولى إعاشة ربع مليون جندي يحاربون في شمال أفريقيا «111».

وعندما أرسلت ألمانيا الفيلق الأفريقي تحت قيادة رومل ليقف الاندحار الإيطالي في أفريقيا، وقبل أن تصل مقدمته إلى طرابلس، أرسلت القيادة الألمانية العليا الجنرال «جسسر» و تحت قيادته الفيلق الجوي العاشر، ويضم 500 طائرة إلى صقلية، وكانت مهمته شن الهجمات على القوات البحرية والجوية البريطانية في البحر المتوسط، وتأمين الإمدادات المرسلة إلى أفريقيا.

و كانت العادة أن يرسل البريطانيون قوافل إلى مالطا في حراسة السفن الحربية، فتزود الجزيرة بالجنود والطائرات والعتاد والمواد المختلفة لتنتقل الطائرات بعد ذلك من مالطا وتُنزل أقصى الدمار بإمدادات الحور وخطوط مواصلاته، وقد صادفت القوات الألمانية يوم 9 أي النار «يناير» سنة 1941 إحدى هذه القوافل، وكانت تتكون من أربع سفن للشحن وحاملة طائرات وعدة سفن حربية للحراسة، وهي في طريقها إلى مالطا واليونان، فهاجمتها الطائرات الألمانية وأغرقت سفينتين منها، ثم هاجمت حاملة الطائرات وتمكنت من إصابتها قبل أن تقلع منها الطائرات وشبت النيران في سطحها العلوي، بينما كان الألمان يقومون بالبالجهد الرئيسي في مواجهة القافلة اختفي تماماً الأسطول الإيطالي الذي كان يفتخره موسوليني، والذي كان يسميه تشرشل «أسطول الطقس اللطيف»، وكان هذا الحادث سبباً لتوقف البريطانيين عن مهاجمة قوافل دول الحور التي وصلت بسلام إلى شواطئ شمال أفريقيا.

و واصل السلاح الجوي الألماني ضرب مالطا فقصفت الأرصفة ورش الإصلاح ومستودعات التموين والسفن والمطارات، مما اضطر البريطانيين إلى نقل الطائرات إلى مصر بعد أن عجزوا عن حمايتها، وخشي البريطانيون أن تفقد مالطا أهميتها كقاعدة جوية وبحرية بريطانية.

وقد أحتش هجمات الألمان فيما بين أي النار «يناير» والصيف «يونيو» سنة 1941 خسائر جسيمة بالجزيرة الصخرية في حين أن الهجوم الإيطالي عليها فيما بين الصيف «يونيو» سنة 1940 وأي النار «يناير» سنة 1941 لم يسبب لها أي ضرر «112». واقتترحت قيادة القوات البحرية الألمانية على القيادة العليا غزو مالطا والاستيلاء عليها حتي يمكن إرسال الإمدادات الصخمة إلى أفريقيا دون عائق، ولكن هتلر قام في 22 الصيف سنة 1941 بالهجوم على روسيا، وأدي نشوب الحرب مع روسيا إلى نقل وحدات من الفيلق العاشر الألماني من صقلية إلى الجبهة الشرقية، و قل سقوط القنابل على مالطا، بينما عزز تشرشل قواته في الجزيرة، وأنزلت القوات البحرية والجوية البريطانية -مأخري- الخسائر الفادحة بإمدادات الألمان ومن شهر الصيف «يونيو» إلى التمور «أكتوبر» سنة 1941 كان على الألمان أن يتحملوا المزيد من الخسائر، فقد تمكن البريطانيون من إغراق 40 باخرة كانت تحمل الإمدادات إلى شمال أفريقيا، وأصبح الآن واضحاً أن عمليات الحور في شمال أفريقيا سوف تنتهي نهاية سيئة نتيجة للحصار البحري لإمداداته «113».

(111)، نفس المرجع صفحة 142.

(112) ثعلب الصحراء ج 1 صفحة 156.

(113)، نفس المرجع ج 1 صفحة 159.

وأمرت القوات الألمانية علي الفور «أواخر سنة 1941» بنقل الأسطول الجوي الثاني بقيادة المارشال «كيسلرغ» من الجهة الشرقية إلى صقلية لحراسة قوافل التموين عبر البحر المتوسط ، و تحميد مالطا و منعها من العمل ، و تحطيم الأسطول البريطاني في شرق البحر المتوسط إذ أمكن ذلك .

و كانت مشكلة الإمدادات هي أهم المواضيع المطروحة بعد استيلاء الألمان علي طبرق ، و كان حل هذه المشكلة يتوقف علي مالطا ، فإذا سقطت الجزيرة في قبضة الألمان أمكن مواصلة الحرب في شمال أفريقيا دون عقبات ، أما إذا ظلت الجزيرة في أيدي البريطانيين فمعني ذلك استحالة أي تقدم في اتجاه الشرق ، و كان رأي الخبراء أن من الواجب اتخاذ موقف حاسم تجاه هذه المشكلة .

و قد حث أمير البحر «رايدر» قائد البحرية الألمانية هتلر في شهر مارس علي الموافقة علي الخطة : التي وضعت لهجوم رومل نحو نهر النيل و أطلق عليها «عملية عائدة» ، و علي الخطة الرامية لاستيلاء المظليين علي مالطا و رمز لها باسم عملية «هرقل» ، و كان من المقرر أن يبدأ الهجوم البري في ليبيا في نهاية شهر الماء «مايو» و أن يقع علي مالطا في منتصف ناصر «يوليو» ، و لكن هتلر ما لبث في الخامس عشر من يونيو- و كان رومل في أوج انتصاراته الأولية - أن أجل الهجوم علي مالطا بسبب المصاعب التي صادفتها عملياته الخربية في روسيا ، و قرر تأجيل «عملية هرقل» ، و رأي أنها يمكنها الانتظار و يكون ملرو ورومل رومل آنذاك قد احتل مصر ، كما أنه في الإمكان أن تبقي مالطا هادئة في غضون ذلك بفعل الغارات الجوية المستمرة عليها .

و لكن مالطا لم تهدأ و أدي فشل الألمان في تجميدها أو الاستيلاء عليها إلي دفعهم بعد ذلك بوقت قصير ثمناً غالياً ، ففي السادس عشر الصيف «يونيو» سنة 1942 تمكنت قافلة بريطانية من الوصول إلي الجزيرة المحاصرة ، و أدي وصولها علي الرغم من خسارة بعض السفن الخربية و بواخر الشحن في العملية إلي عودتها إلي الحياة .

و نقلت طائرات «السبنتفاير» إلي الجزيرة من حاملة الطائرات «واسب» و تمكنت بعد برهة قصيرة من طرد القاذفات الألمانية من الأجواء ، و سرعان ما أحس الألمان بالأثر إذ أغرق ثلاث أرباع سفن التموين المرسلة إلي شمال أفريقيا «114» .

الفرار النهائي :

البريطانية الجوية و البحرية المنطلقة من مالطا ، و أصبح من الضروري إيقاف هذا التهديد القاتل لقوات الحور العاملة في شمال أفريقيا ، و قد رأي الخبراء أنه من الواجب القضاء علي «مالطا أولاً» إذا أريد الوصول إلي دلتا النيل ، ، إذ أنه لا جدوي من الهجوم علي مصر إلا إذا سقطت مالطا أولاً .

و اقترح رومل في منتصف الطير «ابريل» وجوب الاستيلاء علي مالطا لتصبح الطرق البحرية آمنة لقوافل التموين ، و من ثم يشن الهجوم علي طبرق ، التي قد يكون سقوطها إشارة للتقدم إلي مصر ، و رأي رومل أنه في حالة ما إذا كان الهجوم علي مالطا يتطلب وقتاً طويلاً ، فإنه من المناسب جداً مهاجمة طبرق أولاً علي أن يعقب ذلك مباشرة الهجوم علي مالطا ، و قد اتخذ رومل - فيما يبدو - قراره علي أساس أنه يجب بذل كافة الجهود لمنع البريطانيين من فتح جبهة ثانية و إحضار قوات جديدة من الشرق الأوسط إلي هذه الجبهة ، فالجيش الثامن الآن في غاية الضعف و يجب استغلال هذه الفرصة قبل تدعيمه .

وقد عارض بعض الخبراء هذا الاقتراح ، و رأوا أن أي تقدم للألمان نحو مصر مع وجود مالطا في أيدي البريطانيين لن يكون ناجحاً لتعرض الإمدادات لخاطر الهجمات البريطانية ، كما أنه من المتعذر القيام بالمهمتين في آن واحد ، أي الهجوم على مالطا و الاندفاع نحو مصر لأن السلاح الجوي كان بإمكانه إسناد حركات واحدة فقط ، و كان التقدم داخل مصر يعني ترك حركة مالطا و فقدان آخر لاحتلال الجزيرة التي كانت في ذلك الوقت ثمرة يانعة و حان قطفها نتيجة للغارات الجوية العنيفة التي قام بها الأسطول الجوي الثاني الألماني «115» .

وقد وافقت القيادة العليا الألمانية على خطة رومل ، و تقرر تأجيل الهجوم على مالطا حتي شهر الفاغ «سبتمبر» مع وضع القوات المنتسرة تحت إمرة رومل للهجوم على دلتا النيل .

و شرع رومل بعد الظهر من يوم 26 الربيع «مارس» بتطبيق هذه الخطة و كانت تهدف إلي تطويق الجناح الجنوبي لموضع البريطانيين في خط الغزاة - بئر حكيم و بذلك يصبح خلف الجيش الثامن البريطاني بينما تقوم المشاة الإيطالية بتثبيت الجبهة .

معركة الغزاة:

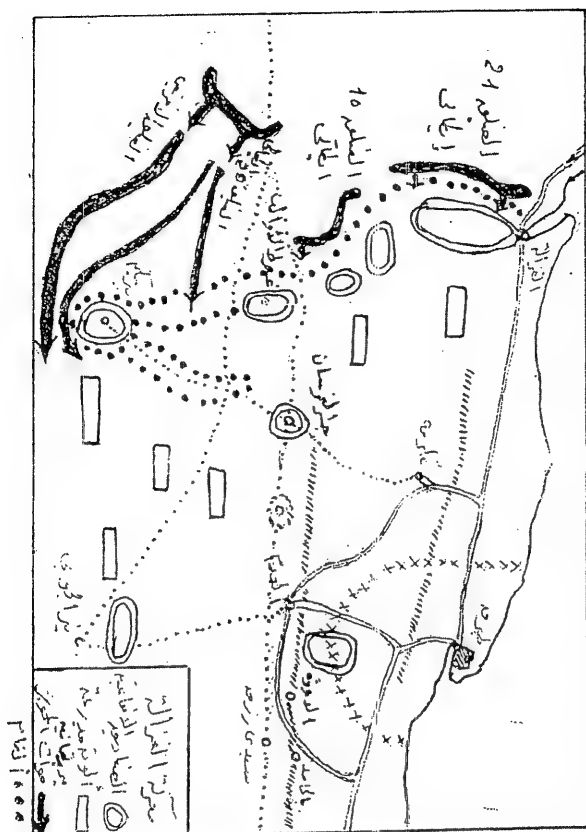
تمتد جبهة الغزاة أربعين ميلاً ، من الساحل إلي بئر حكيم في الجنوب و يتكون خط الدفاع في هذه الجبهة من نقط محصنة محاطة بالألغام أطلق عليها اسم «الصناديق الدفاعية» ، و كان كل صندوق منها قطره ميلين ، تحيط الأسلاك الشائكة بهذه المواقع «أو الصناديق» ليتلوها من الداخل حقول ألغام تُثبت في عمق ، و أقيمت فيما بينها نقاط للدفاع الرشاشة ، و ممرات تغطيها نيران المدفعية ، و كانت حامية كل صندوق توازي قوة لواء ، و هي مزودة بالإمدادات الكافية للدفاع الطويل المدي ، و خلف هذه الصناديق كان يوجد احتياطي للعمليات مكوناً من المدرعات و الوحدات الميكانيكية .

و كانت مهمة الصناديق مراقبة حقول الألغام حتي لا يستطيع العدو أن يفتح ثغرات في خلال الحقل ، و زيادة على ذلك فإن الصناديق كانت عبارة عن مواقع مقاومة من جميع الاتجاهات ، و كان على العدو الذي يريد اختراق الجبهة أن يقضي عليها أولاً حتي يتجنب خطر الهجوم عليه باستمرار من الخلف و الاجنب أو علي خطوط مواصلاته ، فإذا ركز العدو هجومه علي الصناديق نفسها فإن المدرعات الموجودة خلف هذه الصناديق كان عليها أن تواجهه و تقضي عليه «116» .

وفي السادس و العشرين من مايو قام الألمان بالهجوم علي خط الغزاة إلا أنهم قوبلوا بمقاومة بريطانية شديدة أدت إلي تعثر الهجوم في بادئ الأمر ، لكنهم تمكنوا بعد معارك شرسة و مضنية من الاستيلاء علي بئر حكيم في 11 الصيف «يونيو» حيث استسلم من بقي من حاميتها .

(115) معارك الجيش الألماني صفحة 166.

(116) تلعب الصحراء ج2 صفحة 233.



الاستيلاء على طبرق :

اتجه رومل بعد استيلائه على بئر حكيم نحو الشمال محاولاً الوصول إلى شاطئ البحر ليتمكن من القضاء على بقايا الجيش الثامن البريطاني جارفياً طريقه الصناديق الدفاعية والقوات المدرعة الإيطالية التي تحمل تلك الصناديق، وتظاهر رومل بأنه أهمل طبرق، وأنه ينوي الاتجاه شرقاً حتى يعتقد البريطانيون أن هدفه الوصول إلى الحدود المصرية كما فعل ذلك من قبل، وكان على رأس قواته عندما وصل إلى البردية ليغير منها اتجاهه حتى يكون أكثر قرباً من طبرق.

وفي فجر يوم 20 الصيف «يونيو» سنة 1940 قام الألمان بالهجوم على طبرق، بعد أن مهدوا له بقصف جوي عنيف، و صدرت الأوامر لجميع الطائرات الألمانية والإيطالية بالاشتراك في تلك الهجمات على الجنوب الشرقي من طبرق، وفتحت الجحيم أبوابها، وأخذت القنابل تدك التحصينات البريطانية تساندها في ذلك المدفعية من جميع العيارات، دُفعت بعدها قوات الفيلق الأفريقي لاقتحام التحصينات والاستيلاء عليها واحتلال المدينة المدينة، وقامت الطائرات الألمانية بمؤازرة القوات المتقدمة في تنسيق جيد أدى إلى إرباك المدافعين عن المدينة، حيث أخذت المواقع تسقط في أيدي الألمان واحداً بعد الآخر «117».

و وصلت معركة طبرق إلى ذروتها، ودفعت المدفعية الألمانية إلى الأمام وأخذت تطلق نيرانها المباشرة على المواقع البريطانية، ولم يكن في استطاعة المدافعين الصمود أمام هذه النيران المميتة، وبدأت الحصون في السقوط واحداً تلو الآخر، وتمكن رومل دخول المدينة يوم 21 الصيف «يونيو»، وفي الساعة العاشرة من نفس اليوم استسلمت الحامية البريطانية، وتم أسر 33 ألف جندي و كمية كبيرة من العتاد والمواد المختلفة، وبسقوط طبرق أصبح الطريق إلى مصر مفتوحاً «118»

التقدم نحو الاسكندرية:

معظم أفراد المشاة البريطانية في مرسي مطروح ومنعته من احتلال جديد قبل الاسكندرية «119».

إلا أنه كانوا من الصعب تنفيذ هذه الخطة، فقد باتت القوات الألمانية منهكة بعد المعارك العنيفة التي خاضتها، كما شكل اتساع الصحراء مشكلة بحيث يصبح من المستحيل فيها إحكام طوق الحصار أمام عدو يمكنه الاندفاع مفاجأة فيحدث فجوة في خطوط المحاصرين يمكنه التخلص والانسحاب من خلالها، ولزيادة تدخل طائرات السلاح الجوي البريطاني التي كانت تقوم بغارات شديدة على القوات الألمانية المتقدمة، وتمكنت القيادة البريطانية من سحب خيرة قواتها إلى موقع العلمين الذي أنشئ ليكون آخر خط للمقاومة غرب النيل «120».

الانسحاب الأخير

وفي أول ناصر «يوليو» سنة 1942 وصلت القوات الألمانية الرئيسية إلى خط العلمين، ولم تكن تلك القوات تعرف شيئاً عن العلمين التي تقع بينهم وبين دلتا النيل سوى ما هو مرسوم علي الخرائط، التي تشير إلى أنها بلدة فيها محطة للسكة الحديد، والمعلومات التي تقول أن البريطانيين قد حشدوا قواتهم هناك.

(117)، نعلب الصحراء ج2 صفحة 286.

(118)، نفس المرجع صفحة 299.

(119)، نعلب الصحراء ج3 صفحة 337.

(120)، نفس المرجع صفحة 340.

التوقف أمام العلمين :

وعند خط العلمين بين قرية العلمين علي البحر المتوسط و منخفض القطار جنوباً و هو أقل من مستوى سطح البحر و لا تصلح أرضه بحكم طبيعته لسير الآليات و العربات إلا في بعض مناطقه ، لذلك مناسباً للدفاع .

و لم يعلم رجال هيئة أركان حرب رومل شيئاً عن حقول الألغام حول العلمين ، و لم ينتبهوا للألغام التي بُنت بعمق طوال الأسابيع الطويلة بواسطة الإيطاليين من أسري الحرب و وحدات المهندسين البريطانية جنوب العلمين علي حافة هضبة الرويسات و علي طول منخفض القطار .

و عندما وصلت القوات الألمانية إلي حزام الألغام أمام العلمين قوبلوا بمقاومة شديدة ، و هاجمت القوات الجوية البريطانية القوات المتقدمة الألمانية و لأول مرة أحس الألمان بتهديد القوات الجوية البريطانية التي كان من واجبها إيقاف القوات الألمانية بإتزال الخسائر الجسيمة بها بغض النظر عن خسائرها هي « 121 » .

و فشل الألمان في الاستيلاء علي خط العلمين نتيجة للمقاومة البريطانية الشديدة ، و لهجمات السلاح الجوي البريطاني ، و كان أخش ما يخشاه رومل أن يدعم البريطانيون قواتهم أمام الاسكندرية فتتحول الحرب بذلك إلي حرب ثابتة ذات خطوط مجهزة محددة ، لأن القوات البريطانية تربت علي مثل هذه الحرب ، و أن عناد و تصميم البريطانيين يوتي ثماره في مثل هذا النوع من القتال الثابت .

و حاول رومل منع ذلك ولكنه لم يتمكن أبداً من تنفيذ خطته و الاندفاع إلي ما وراء خط العلمين ، و منذ يوم 3 ناصر « يوليو » سنة 1942 أوقف تقدم رومل عند العلمين « 122 » ..

(121) ، نعلب الصحراء ج3 صفحة 347 .

(122) ، نعلب الصحراء ج3 صفحة 351 .

الذعر يحتاج البريطانيين:

أصاب تقم الألمان إلى العلمين البريطانيين بالهلع والذعر. فراحوا يجمعون كل إمكاناتهم لبذل محاولة أخيرة وبأسنة لإيقاف الألمان، و سافرت تشرشل رئيس الوزارة البريطانية إلى القاهرة ليمنع التردى الذى أصاب البريطانيين، وأمر على الفور بإرسال الإمدادات إلى مصر لتدعيم قوات الجيش الثامن، و زاد البريطانيون من نشاطهم الجوى غرب البحر الأبيض المتوسط، وأخذوا في مهاجمة قوافل آخور من شواطئ إيطاليا إلى شمال أفريقيا و لوحظت حركة نشطة للقوافل البريطانية البحرية المتجهة نحو رأس الرجاء الصالح لنقل العتاد والإمدادات، إلى مصر، و نقلت فرق بريطانية جديدة من سوريا و الهند و العراق، و غين الجنرال هارولد الكسندر قائداً عاماً للشرق الأوسط بدلاً من أوكلتك، و اختير الجنرال مونتجومري قائداً للجيش الثامن بدلاً من ريتشى.

مونتجومري :

درس في مدرسة (سانت بول) ثم التحق بالكلية الحربية في (سانت هرست) و خدم بتفوق أثناء الحرب العالمية الأولى . و عندما نشبت الحرب العالمية الثانية تولى مونتجومري قيادة فرنسا، ثم عين قائداً لقيادة الجنوب الشرقي في إنجلترا، و تولى الجيش الثامن البريطاني في شمال أفريقيا في هنيبال (اغسطس) سنة 1942 . و أوقف مونتجومري بعد توليه القيادة أية إجراءات تقضى بانسحاب الجيش الثامن من العلمين، و أصدر أوامره بعدم استخدام القوات البريطانية، و الدبابات، و المدفعية، إلا في حشود كبيرة، إذ أن استخدام القوات بوحدة صغيرة أدى إلى حصول رومل على انتصاراته السابقة «123» .

معركة علم حلفا :

حاول رومل جاهداً أن يكسر الجمود في جبهة العلمين، و أن يفتح الطـيق للوصول إلى دلتا النيل بالقضاء على هذا الموقع، و أن يفاجيء الجيش الثامن بتكتيكاته المعهودة القائمة على تثبيت الجبهة ثم اختراقها من الجنوب و الالتفاف على القوات المعادية و ضربها من الخلف فينها خط الجبهة .

و على هذا التقدير قام رومل في يوم 30 هنيبال (اغسطس) سنة 1942 بهجوم دارت على إثره معركة عرفت باسم (معركة علم حلفا)، و كان غرض الهجوم اختراق الجبهة البريطانية جنوب خط العلمين، و الاستيلاء على هضبة علم حلفا، ثم الاتجاه شمالاً لقطع خط الجرعة على القوات البريطانية الموجودة شمال جبهة العلمين، و قوبل الهجوم الألماني منذ بدايته بمقاومة بريطانية شديدة، فقد استقبل موجة عيفة من المدفعية و المدافع الرشاشة، و اكتشف الألمان بعد بداية الهجوم أنهم قد تورطوا داخل حقول الألغام لم تكن معروفة لديهم أو محددة شككت مفاجأة لهم، و مما زاد الأمر صعوبة قيام طائرات السلاح الجوى البريطاني بغارات شديدة وجهت فيها قنابلها و أسلحتها إلى المدرعات الألمانية و أنزلت بها خسائر فادحة.

ولم تستطيع القوات الألمانية أن تتقدم حتى صباح 31 هنيبال (اغسطس) سوى مسافة تتراوح بين 8-10 أميال، و كان ذلك يعني فشل رومل الذي كان مقدراً له أن يتقدم في ضوء القمر مسافة ثلاثين ميلاً ثم الالتفاف بعد ذلك في اتجاه الشمال. و يعود السبب في فشل الهجوم، إلى المقاومة غير المتوقعة التي أبدأها البريطانيون، و إلى طبيعة الأرض التي فشل الاستطلاع الألماني في اكتشاف مدي وعودتها و إلى صعوبة مهاجمة تبة علم حلفا بالمواجهة، لأنه بالرغم من إبلاغ دوريات الاستطلاع الألماني بأن التبة محصنة تحصيناً قوياً إلا أنها لم تكتشف أن فرقة مشاة بريطانية هي الفرقة (44) التي وصلت حديثاً من بريطانيا كانت تحمل بكامل أسلحتها مواقع محصنة في تبة علم حلفا و أنها مدعمة بمدفعية ثقيلة و دبابات. و في مساء 13 هنيبال (اغسطس) كان موقف الوقود يربو بالخطر فلم تصل كميات الوقود التي كانت القوات الإيطالية قد وعدت بإرسالها «124».

و في مساء الأول من الفاتح (سبتمبر) قرر رومل إيقاف الهجوم و الانسحاب علي مراحل إلى نقطة الانطلاق شمال منخفض القطارة، و استمرت معركة الانسحاب العنيفة مدة ثلاثة أيام، و انتهى بذلك سباق الستة أيام كما سماها الجنود، بحيث لم يجابهوا مثلها فيما بعد. و كان من أسباب الهزيمة الألمانية، ضعف قوات رومل، و تفوق القوات البريطانية من حيث المدفعية و المدرعات، و التدخل القوي للسلاح الجوي البريطاني.

الهزيمة في العلمين :

و ابتداءً من 6 الفاتح (سبتمبر) و حتي 23 التمور (اكتوبر) سنة 1942، أي منذ فشل عملية علم حلفا، أخذت القوات المتصارعة حول موقع العلمين في تدعيم جبهاتها و بينما كانت تصل إلى البريطانيين كميات هائلة من الإمدادات، و كانت قوات المحور تعاني من نقص مستمر في كمية الإمدادات اللازمة لمواصلة عملياتها الحربية، و أصبح البريطانيون بما لديهم من تجهيزات و معدات هم الطرف الأكثر قرباً لانتصار في المعركة القادمة، و قد أخذوا في التجهيزات لها بشن غارات عنيفة علي قوات المحور أخذت تزداد شدة و عنفاً في نهاية الفاتح (سبتمبر) و ما بعده. و في مساء 23 التمور (اكتوبر) سنة 1942 بدأت معركة العلمين، فقد شن البريطانيون بقيادة مونتجومري هجوماً كاسحاً علي قوات المحور، و بدأت المعركة بغللة قوية من النيران لمدة خمس ساعات، و ركز 1000 مدفع بريطاني نيرانهم علي قوات المحور في الخط الأمامي. و في الساعة العاشرة تحولت المدافع البريطانية إلى حقول الألغام و قصفتها قصفاً شديداً، و كانت قوة هذه النيران كافية لفتح مرات في حقول الألغام «125».

و بعد معارك شرسة و شديدة شن البريطانيون في ليلة 31 التمور (اكتوبر) هجوماً شديداً شمال الجبهة تمكنوا عيل أثره من الوصول إلى الطريق الساحلي، و بدأ واضحاً تفوق البريطانيين علي قوات المحور التي حاولت باستماتة إيقاف اختراق جبهتها الذي حدث في عدة مواقع.

(124)، ثعلب الصحراء ج3 صفحة 368.

(125)، ثعلب الصحراء ج3 صفحة 403.

ولم يجد الألمان وحلفاؤهم أمام هذا الوضع البائس في النهاية غيذ الانسحاب حتي لا يتمكن البذيطانيون من تطويقهم و إبادتهم ، و علي هذا الأساس أخذ الألمان ابتداءً من الحارث (نوفمبر) سنة ١٩٤٢ في الانسحاب باتجاه الغرب تلاحقهم المدرعات البريطانية ، و يقصفهم السلاح الجوي البريطاني ، و كان ما يشغل بال الألمان و يسبب الحرج لهم هو إنفاذ المشاة ، فالقوات غير المحملة يسهل حصارها و تدميرها ، و كانت معظم القوات الإيطالية غير محملة ، ففقدوا قيمتهم كقوات مقاتلة ، و اتهم رومل بأنه تخلي عن الإيطاليين و تركهم يقعون أسري في أيدي البريطانيين ، و هو اتهم سوف يتكرر كلما جري انسحاب.

و كان علي المدرعات أثناء الانسحاب أن تعمل كحرس مؤخرة يقوم بالاشتباك مع قوات العدو في معارك تصادية الغرض منها إتاحة الفرصة لانسحاب القوات و احتلال خطوط دفاعية يمكن التوقف عندها و الدفاع من خلالها. و كان المهندسون ياعبون دوراً هاماً في إنعام الانسحاب و عرقلة تقدم القوات البريطانية ، ينسفون الجسور و المستودعات ، و يضعون الألغام في النقاط الحساسة حتي تتمكن القوات المنسحبة من احتلال مواقع جديدة يسهل الدفاع عنها. و وصلت القوات الألمانية في ليلة 4 الحارث (نوفمبر) إلي (فوكة) ، و تمت عملية التحرك علي جبهة واسعة تم أغلبها عبر الصحراء المفتوحة المفتوحة لأن الطريق الساحلي كان مضيئاً بواسطة المشاعل البريطانية ، و معرضاً علي الدوام لهجمات السلاح الجوي البريطاني .

و واصلت القوات الألمانية انسحابها ، فوصلت إلي مرسى مطروح و في أعقابها وحدات من المدرعات البريطانية ، و لما كان الألمان يخشون خطر التطويق فقد انسحبوا بسرعة إلي سيدي براني . و علم رومل في يوم 8 الحارث (نوفمبر) سنة 1942 بوجود قافلة من حوالي 104 سفينة تقترب من أفريقيا ، و أنه من المحتمل أن يكون البريطانيون و الأمريكيون علي وشك توجيه ضربة لقوات الحور من الغرب ، و كان هذا يعني نهاية هذه القوات «126» .

الانسحاب من الأراضي الليبية :

و في يوم 8 ، 9 الحارث (نوفمبر) قامت القوات الألمانية بمحاولة جادة لعبور المضائق عبر هضة السلوم بأسرع ما يمكن بسبب ازدهام الآليات و تكديسها الذي وصل - أثناء ت - اجعها - إلي مسافة عدة أميال بحيث صارت عرضة لهجمات السلاح الجوي البريطاني ، و مهددة بخطر الالتفاف حولها عبر الصحراء و قطع خط الرجعة عليها «127» . و نجح رومل في يومي 10 ، 11 الحارث (نوفمبر) - ولكن بمشقة - من إنعام الانسحاب عبر المضائق و الاتجاه نحو الأراضي الليبية . و كان هدفه الهروب بالقوات الألمانية إلي أوروبا ، و كان مقتنعاً و خاصة بعد هزيمة العلمين بأن كل شيء قد انتهى ، و أن الطريق الصحيح الذي يجب سلوكه الآن هو الارتداد إلي طرابلس و مغادرة شمال أفريقيا نهائياً ، و جاء نزول الجنرال (إيزنهاور) في 8 الحارث (نوفمبر) في المغرب و الجزائر مكدلاً لذلك .

(126) ، مذكرات رومل ج4صفحة 593.

(127) ، مذكرات رومل ج4صفحة 596.

واقترح رومل علي هتلر العمل علي إنقاذه ما يمكن إنقاذه من الجيش، حتي يتمكن الألمان من الدفاع عن أوروبا ضد غزو الحلفاء المتوقع، ولكن هتلر رفض الموضوع، ورأي أن من الواجب الدفاع عن أوروبا في تونس وليس في صقلية «128».

واستمر البريطانيون في تعقبهم السريع للقوات الألمانية، وعندما وصل الألمان إلي طريق يوم 11 الحارث (نوفمبر) احتل البريطانيون في نفس اليوم نقب حلفاية وشرع الألمان في إنغام إخلاء برقة بأقصى سرعة، وتركوا وراءهم خط الغزالة، ووصلوا إلي مفترق مفترق الطرق عند التميمي حيث تتفرع المسالك إلي اتجاهين، الأول الطريق الساحلي، والثاني الطريق الذي يمر باخجلي - مسوس - اجدايا، وهو النقطة الحرجة في أي انسحاب إلي الغرب، وكان الألمان يخشون تكرار ما حدث للقوات الإيطالية التي سقطت في المصيدة شمال اجدايا وأبيدت هناك، ولكنهم تمكنوا من إنغام انسحابهم ووصلوا إلي اجدايا «129».

واستمر الألمان في انسحابهم السريع، ففي وقت مبكر من صباح يوم 29 الحارث (نوفمبر) قاموا بإخلاء مدينة بنغازي بعد أن دمروا كل العتاد المتبقي فيها ومنشآت الميناء والأرصقة، ووصل الألمان في نفس اليوم إلي مواقعهم الجديدة حول الزويتينة و اجدايا، وبذلك تمت عملية إخلاء برقة.

وفي هذه الأثناء كان العمل يسير بسرعة في إنشاء خط دفاعي في مرسى البريقة وتقوية دفاعاته حتي يتم الانسحاب غرباً، وقد قرر الألمان إخلاء طرابلس والانسحاب إلي قابس والصمود هناك حيث يمكن إقامة خط دفاعي يحده من الجنوب سبخة شط الجريد «130».

خروج الإيطاليين من ليبيا:

وأخذت خطوط الدفاع التي أنشأتها قوات الحور للتشبث بقائهما في ليبيا تنهار تباعاً، فقد سقط خط البريقة، وتلاه خط البويرات ثم خط ترونة - الخمس الذي انسحب منه الألمان في 19 أي النار (يناير)، ثم أخلت قوات الحور مدينة طرابلس ودخلتها وحدات نت الجيش العاشر البريطاني في 23 أي النار (يناير) سنة 1943 أي بعد هجومهم في العلمين بثلاثة أشهر تماماً «131».

وفي أواخر أي النار (يناير) سنة 1943 انسحبت قوات الحور إلي توني، وبذلك خرجت القوات الإيطالية نهائياً من الأراضي الليبية بعد احتلال دام اثنين ثلاثين عاماً.

لقد كان فقان طرابلس أكبر وأجمل مدينة في الإمبراطورية الإيطالية تأثراً بالغاً ومحطماً للإيطاليين، وعُد تحررها أخطر اندحار أصاب القوات الإيطالية، وأدرك الإيطاليون أن خسارة طرابلس تعني خسارتهم للحرب «132».

كفاح الشعب الليبي ضد الإيطاليين :

عندما أعلنت إيطاليا الحرب على الحلفاء في شهر الصيف (يوني) سنة 1940 وجد الليب الليبيون الفرصة سانحة لخاربة الإيطاليين، وقرر من سمحت له الظروف منهم بالاشتراك في التدريب، وجندوا للحرب ضد الإيطاليين، واشترك 14 ألف ليبي مع الجيش البريطاني كثير منهم ممن أسرفي المعارك الأولى أثناء محاولة الإيطاليين غزو مصر، وما تلي ذلك من هزعتهم في سيدي براني، وعندما شن البريطانيون هجومهم الأول بقيادة ويفل اشتركت القوات الليبية في هذه المعارك،

(131) نفس المرجع صفحة 674.

(132) معارك الجيش الألماني صفحة 180.

(128) ثعلب الصحراء ج4 صفحة 439.

(129) مذكرات رومل ج5 صفحة 604.

(130) نفس المرجع صفحة 674.

وخاضت العديد من المعارك طوال الفترة التي استغرقها الصراع وحتى طردهم نهائياً من ليبيا «133». وناصر الليبيون قضية الحلفاء علي أمل التخلص من الحكم الفاشي البغيض، فالتحق بعضهم بالجيش وحاربوا في الصحراء الغربية، وعمل بعضهم خلف خطوط العدو ومقدمين شتى الجهودات لهزيمة العدو والتخلص من وجود الاستعمار الكريه «134».

وقد أدت هزيمة غراتسياني إلي ضياع هبة إيطاليافي المنطقة، وبدأ عدد القبائل الليبية في الثورة، وساعد علي انتشار هذه الروح، الأسلوب السيء الذي يتبعه الإيطاليون في معاملة العرب، وانزعج الألمان لانتشار روح التمرد بين تلك القبائل، لأن ذلك يعني اشتعال الثورة خلال الخطوط الخلفية لثواتهم، يحذرون السلطات الإيطالية من خطورة الوضع وتأثيراته السيئة ويعملون علي تهدئة خواطر العرب «135».

وفي أواخر أري النار (يناير) سنة 1943 طردت قوات الحور نهائياً من ليبيا، وبخروجها انتهى الحكم الإيطالي لليبيا بعد احتلال دام حوالي اثنين وثلاثين عاماً، عاني فيها الناس من استبداد وطغيان حكم استعماري استيطاني كريه نشر الرعب والخوف، وأقام المشائخ، واقترف الذابح وشتت البشر.

وأصيب الإيطاليون - الذي شجعهم الشيطان علي البغي والطغيان والجبروت - بهزيمة ماحقة وطعنة قاسمة لم يفيقوا منها أبداً، وبرزت مكانتهم، وانحطوا إلي متدن بين دول العالم، وظلوا في تردٍ وتقهقر إلي أن طردوا من ليبيا نهائياً.

وانتهي بذلك الاستعمار العسكري الإيطالي لليبيا، لكن ظل هناك استعمار من نوع آخر، وهو الاستعمار المدني الذي تمثل في بقايا المستعمرين الإيطاليين ممن جلبتهم السلطات الإيطالية الفاشستية وملكتهم الأرض وثرواتها بعد مصادرتها من أصحابها الأصليين، وقد انتهى هذا الأمر بقيام ثورة الفاتح من سبتمبر عام 1969 التي أمرت بإعادة الحق إلي نصابه وطردت بقايا الإيطاليين الفاشست في اليوم السابع من شهر الثمور (اكتوبر) سنة 1970.

الصراع حول تونس:

كانت القيادتان الألمانية والإيطالية تتوقعان منذ منتصف شهر الثمور «اكتوبر» سنة 1942 إنزالاً بريطانياً أمريكياً وشيك الحدود في شمال أفريقيا، وفي الثالث من شهر الحارث «نوفمبر» شوهد أسطول ضخم للحلفاء متجمعاً في جبل طارق «136».

وكانت القيادة الألمانية في شمال أفريقيا تخشي الإنزال وراء خطوطها الخلفية وأصبحت بذلك القوات الألمانية معرضة لتهديد خطير إذا تم الإنزال علي سواحل أفريقيا وخاصة في تونس.

وفي يوم 8 الحارث «نوفمبر» سنة 1943 أنزلت قوات الغزو بقيادة «إيزنهاور» في المغرب والجزائر، ولهذا بادروا القائد العام للقوات للقوات الألمانية في جنوب إيطاليا الماريشال «كيسلر» باغتنام الفرصة ووضع يده علي تونس وأخذ في إرسال القوات إليها، وأنزلت وحدة من الألمان جواً في 11 الحارث «نوفمبر» ليتوالي بعد ذلك نزول القوات.

وأدي تقدم الحلفاء البطيء شرقاً من الجزائر إلي تعزيز وتقوية رأس الجسر الألماني في تونس، وإلي امتداده غرباً، وأصبح بالامكان أخيراً أن ينقل الألمان أجزاء من فرقتين مدرعتين بصورة تدريجية، وثلاث فرق مشاة إلي تونس، وتشكل الجيش

(133)، ليبيا بين الماضي والحاضر صفحة 246.

(134)، العالم العربي صفحة 372.

(135)، مذكرات رومل جـ 2 صفحة 85.

(136)، ألمانيا النازية جـ 4 صفحة 252.

المدرع الخامس من القوات التي تم نقلها إلى تونس بقيادة الجنرال «فون آرنيم» و التحقت به بعض الوحدات الإيطالية .
و تمكن جيش رومل من إتمام انسحابه إلى داخل الأراضي التونسية في أوائل النوار «فبراير» سنة 1943 و تم الاتصال بينه
و بين جيش فون آرنيم و كان علي الألمان أن يواجهوا القوات البريطانية و الأمريكية الآتية من الجزائر، و القوات البريطانية
المطاردة للفيالق الألماني و التي تتجه الآن من جنوب تونس نحو الشمال «137» .

و في يوم 14 النوار «فبراير» قامت القوات الألمانية بهجوم على قوات الغزو في تونس محاولة إنزال أقصى الخسائر بها، إلا
أن قوات الحلفاء قابلت الهجوم بمقاومة شديدة بعد النجاح المبدي الذي حققته القوات الألمانية، و في يوم 22 النوار «فبراير»
أوقف الهجوم لضعف القوات القائمة به، و صعوبة الأرض، و قلة الإمدادات، بالإضافة إلى ازدياد تهديد مؤخرة القوات
الألمانية من الجيش الثامن الذي كان علي وشك الهجوم علي خطوط الخور جنوب تونس «138» .
و حاولت قوات الخور في يوم 6 الربيع «مارس» الهجوم علي قوات الجيش الثامن جنوب تونس لإيقاف التهديد المستمر
لجبهتهم هناك إلا أن مقاومة القوات البريطانية غير المتوقعة أدت إلى فشل الهجوم .

نهاية قوات المحور في تونس :

و بدأ أن نهاية قوات الخور في شمال أفريقيا وشبكة الوقوع، فقد دخل الحلفاء تونس في 7 الربيع «مارس»، و سقطت
بنزرت في يوم 8 منه، و كان سقوطها بمثابة إشارة لانتهاء قوات الخور، و قد عجل بسقوطها ضعف الإسناد الجوي، و نقص
العناء أمام خصم متفوق يمتلك جميع الإمكانيات، و هكذا جاءت النهاية السريعة، فقد انتهت مقاومة قوات الخور يوم 12 الماء
«مايو» سنة 1943 و وقع ما يقرب من ربع مليون جندي أسري كان ثلثاهم من الألمان في أيدي الحلفاء «139» .

نتائج سقوط تونس :

أدي سقوط تونس إلى فتح الممرات البحرية حول صقلية أمام باخر الحلفاء، و أخذت القوافل تستخدم الطريق البحري
القصير من جبل طارق إلى السويس دون مضايقة من السلاح الجوي الألماني .
لقد أدت هزيمة ألمانيا و إيطاليا في شمال أفريقيا إلى خسائر فادحة، فخر الألمان و حدهم عشر فرق مدربة و كميات كبيرة
من مواد الحرب الثمينة، و تكبد سلاح الجو الألماني خسائر فادحة في غاراته علي مالطا، و ضد قوافل التموين، و خلال النقل
الجوي إلى تونس .

و خسر الإيطاليون كافة مستعمراتهم، تلك الخسارة التي سببت للحكومة الفاشية أعظم الأزمات و أسوأها، و كانت أخبار
استسلام تونس ذات وقع مرعب محطم لنفسية الشعب الإيطالي حتي أن المسؤولين و المراقبين المطلعين المطلعين رأوا أن سقوط
موسوليني أصبح قاب قوسين أو أدني .
و أدرك موسوليني أن حكومته لن تتحمل اندحارات أخرى ماثلة، بل أخذ البعض يتساءل عن قدرة القوات الإيطالية
ورغبتها في بذل الجهد للدفاع عن الوطن و خاصة بعد سقوط المستعمرات الإيطالية و تعوض بذلك بعضاً من سمعتها العسكرية
المنهارة، و هو أمر شك فيه الكثيرون .

(137)، عمليات الجيش الألماني صفحة 179.

(138)، ثعلب الصحراء ج3 صفحة 484.

(139)، معارك الجيش الألماني صفحة 182.

لقد قامت القوات الألمانية و الإيطالية في شمال أفريقيا بحراسة الجناح الجنوبي لدول المحور في أوروبا، و الآن وقد انتهى وجود هذه القوات بعد الهزيمة في تونس، أصبحت تلك الدول مهددة من قبل الحلفاء و بخاصة بعد سيطرتهم تماماً علي البحر الأبيض المتوسط، و توقع الخبراء أن تكون الضربة القادمة موجهة إلي إيطاليا نفسها لهزيمتها و إخراجها من الحرب « 140 ».

محسب و يوسف و يحيى

(140) معارك الجيش الألماني صفحة 191.

الجزء الثالث

انتقال الحرب إلى البحر الأبيض المتوسط
وإنهاء الفاشية

أدت الهزائم المتتالية و الانكسارات المتلاحقة التي مني بها الإيطاليون إلى إحساس مرير لديهم بالهزيمة ، و إلى فقدان الثقة بالمستقبل ، و أرجع الإيطاليون ما أصابهم من كوارث إلى موسوليني و نظامه الفاشي ، و أدركوا جيداً أنه يجب - إذا أرادوا تفادي الكارثة - بذل كل الجهود للتخلص من الأوضاع السيئة و المقيتة التي قد تؤدي بهم إلى هلاك مؤكد لا نجاة منه .
موسوليني و حكومته (141) :

كان موسوليني رئيساً للحكومة و قائداً علي القوات المسلحة ، و كان يحمل رتبة «ماريشال الدولة» و كانت جميع القرارات تتوقف علي موافقته ، أما الملك و الإمبراطور فند زُحِرت مكانته إلى الخلف دون الصدارة ، بينما كان الضباط لا يزالون يشعرون بأن واجبهم الأول و إخلاصهم القلبي للملك الرئيس التقليدي للعائلة الحاكمة وليس «للدوتشي» .
(142) .

و كانت خسارة الإيطاليين لمستعمراتهم ضربة قاصمة للشعب الإيطالي لأنها كانت تعني أن جميع الجهود و التضحيات التي بذلت خلال نصف قرن في بناء أقاليم المستعمرات كانت هباءً و عبثاً .
و أخذ الإيطاليون منذ نهاية سنة 1942 يفترضون أن الدوتشي يتحمل شطراً من المسؤولية في كل هزيمة و كل أزمة يعانونها ، بل أن كارثة تظهر أن النظام الفاشي الذي خلقه لم يعد قادراً علي معالجة الأوضاع الطارئة التي ورط نفسه فيها من أجل إطالة الحرب أكثر من اللازم .

و بذلك فقد معظم الإيطاليين أملهم في مستقبل أفضل : و وجه الشعب الإيطالي اللوم إلى الحزب الفاشي لهذه الانتكاسات و الهزائم ، و إلى عدد من رجال الحزب بالذات ، بل و حتي موسوليني نفسه ، و فقد الإيطاليون ثقتهم بالألمان بعد سقوط «ستالينجراد» و طردهم من تونس ، و نقل الجنود العائدين من روسيا أنباء تفيد بأنه لا أمل - فيما يبدو - في تحرير روسيا .
و قد سببت الغارات الجوية العنيفة علي صقلية و المدن الإيطالية الشمالية زيادة النفور و الكراهية ، و سُم الشعب الحرب و مقتها و صار يتوق إلى السلم . لقد تكبد الإيطاليون خسائر كبيرة ، و بالرغم من ذلك كان موسوليني يعرف أن الحل الوحيد هو الاستمرار في القتال ، و كان يأمل بأن الجنود الإيطاليين سيثبتون جدارة في الدفاع عن وطنهم ، و يظهرون وضعاً أفضل مما كانوا عليه حتي الآن ، و كان يعرف طبعاً بخيبة أمل الشعب في سياسته الفاشية ، و قد أجري موسوليني في سنة 1943 تغييرات في المناصب الوزارية منها إعفاء الكونت «شيانو»

صهره من منصبه كوزير للخارجية ، و قي حمل هذا التغيير علي الاعتقاد بأن موسوليني قد عزم علي إصلاح برامجه الحكومية ، و لكن تتابع الحوادث أثبتت أن موقف هذه الحكومة لم يبارأ عليه أي تحسن أو تبدل «143» .

المتألمون :

و عندما احتلت وحدات من الجيش البريطاني في 32 أي النار «يناير» سنة 3491 مدينة طرابلس بدأ للكثير من الإيطاليين أنهم قد خسروا الحرب ، و أن أمل إيطاليا الوحيد هو تخلصها من الحلف مع ألمانيا ، لكن قلة منهم فقط اعتقدت أن الحور لن ينفصل طالما أن موسوليني قائم في الحكم .

(141) ، ولد بينو موسوليني سنة 1883 ، و أسس سنة 1919 الحزب الفاشي ، و قاد في التمور (اكتوبر) سنة 1922 الزحف علي روما حيث هيمن علي مقاليد الأمور في الدولة ، و أبقى للملك سلطاته الاسمية فقط .
(142) ، معارك الجيش الألماني صفحة 198 .
(143) ، معارك الجيش الألماني صفحة 202 .

وقد زادت المعارضة منذ الحرب «نوفمبر» سنة بعد الانتصار الذي حققه «مونتجومري» في العلمين و الذي مهد لهزيمة الجيش الإيطالي في أفريقيا الشمالية، فمنذ ذلك الحين بدأ التآمر علي عهد موسوليني .
و مالميث التدمير في الانتشار والاتساع ، و أصبح ملك إيطاليا نفسه متورطاً فيها و كان بلاط الملك و حاشيته علي اتصال بالجنرالات الذين أرادوا أن يروا نهاية لذكاتورية موسوليني .
و اقترح الجنرال «فيتوريو امبروزيو» الاطاحة بالملك أيضاً إذ أنه - بحسب رأيه - ارتبط أشد الارتباط بالفاشية ، و اقترح «بادليو» أن يتنازل الملك ، و إن قيل أنه كان يطمع في خلافة موسوليني .
و كان موسوليني قد عين «امبروزيو» خلفاً للجنرال «كافاليرو» في رئاسة أركان الحرب ، و هو أحد المتورطين في المؤامرة للإطاحة به و لكن موسوليني ظل يتجاهل التقارير التي كانت تصله عنهم و كان لا يشك في إخلاص الملك له «144» .
و عندما استسلمت قوات المحور في أفريقيا أدرك موسوليني أن النزول في الجانب الآخر و من من البحر الأبيض المتوسط أصبح وشيكاً ، و اعتقد أن صقلية ستكون هي الهدف ، و راح يقول لجنرالاته بأن عليهم أن يقاوموا مثل هذا الهجوم مقاومة عنيفة ، إذ ليس ثمة احتمال لتسوية سياسية أو صلح منفرد ، و بدأ الهجوم علي صقلية في العاشر من يوليو بعد قصف عنيف ، و لم تمض أيام حتي كانت جيوش الحلفاء تتدفق عبر سهل «كاتانيا» «145» .

(144) ، بنيت موسوليني صفحة 235.

(145) ، نفس المرجع 241.

غزو الحلفاء لإيطاليا

كان من الواضح أنه بعد أن أتمت جيوش «إيزنهاور» الانجلو-أمريكية أسر ما تبقى من قوات المحور في تونس في شهر الماء «مايو» سنة 1943 أن هذه الجيوش المنتصرة ستجبه الآن إلى إيطاليا نفسها «146».

وتوقعت القيادة الإيطالية أن الحلفاء سيشنون هجوماً على إيطاليا، وسيكون الهدف الأول صقلية، لأنها هي المدخل نحو الأراضي الإيطالية، إلى جانب أن الاستيلاء عليها يعد استراتيجية يؤدي إلى السيطرة على مضيقها.

و وضعت القيادة الإيطالية خطة لمقاومة الإنزال تعتمد على قيام حرس الساحل بحمايته وتقوم فرق المشاة بالدفاع عن المراكز المنيعه، على أن يستعان بالفرق الآلية الألمانية كاحتياط سيار يقوم بالهجوم المضاد وإلقاء العدو في البحر «147».

تعاقب الأحداث السريعة

استسلام جزيرة بانتيريا:

كان موسوليني قبل الحرب بقليل قد جعل من جزيرة «بانتيريا» قلعة حديثة تقف ضد مالطا، وأنشئت بها حظائر للطائرات تحت الأرض، وحامية تتألف من اثني عشر ألف جندي مع أربعين بطارية مدفعية، و عدة أجنحة من المقاتلات جاهزة هناك، وأخبر القائد الإيطالي للجزيرة في 11 الصيف «يونيو» سنة 1943 القيادة العامة الإيطالية أن المقاومة قد أصبحت متعذرة لعدم وجود الماء، فأصدرت أوامرها بالسماح للحامية بإلقاء السلاح، و كان استسلاما غريباً مفاجئاً لأنه تم بدون أن يُشن عليها هجوم جوي أو أن يُجري عليها إنزال، و كانت الحامية و السكان في أتم حماية في ملاجئهم الصخرية، و لا يمكن أن يحدث نقص خطير في الماء، و مع ذلك استسلمت حامية الجزيرة، و كان لاستسلامها أثر كبير في تثبيط عزائم الشعب الإيطالي

غزو جزيرة صقلية :

بعدة أسابيع، و كان تحت إمرته 300 ألف جندي من الجيش و القوة الجوية و البحرية، و كان الجيش يتألف من أربع فرق مشاة، و ست فرق من حرس السواحل، مع فرقتين ألمانيتين أصبحت أربع فرق غي النهاية، و كان ما يقرب من مائة قطعة مدفعية من أثقل العيارات قد أعدت على امتداد الساحل .

و كانت الشكوك تساور النفوس من أول الأمر في إمكانية الاحتفاظ بالجزيرة، و كان الجميع يدركون ضعف قوة قتال القوات الساحلية، و فعلاً كانت النتيجة مخيبة للآمال حيث أنها لم تُبد مقاومة من أي نوع، و فقدت القواعد «أوغستا» و«سيراكيوز» بدون إطلاق طلقة واحدة بالرغم من قوة أسلحتها، و في بعض الحالات نسفت المدفعية و العتاد أو رُميت في البحر، و أشعلت النار في مستودعات الوقود قبل وصول العدو بأربع و عشرين ساعة، و سرح الضباط قواتهم، و رموا أسلحتهم، و كانوا هائمين متسكعين في الطرقات و معظمهم في ملابس مدنية، و كانت هذه حالة الجيش السادس الإيطالي المنهار بقيادة المارشال غراتسياني «148» .

(146)، ألمانيا النازية جـ 4 صفحة 112.

(147)، معارك الجيش الألماني صفحة 204.

(148)، معارك الجيش الألماني صفحة 206.

وفي التاسع عشر من ناصر «يوليو» سنة 1943 التقى هتلر بموسوليني في «فيلتري» في شمال إيطاليا، وفي أثناء اجتماعهما وصلت موسوليني أولي أنباء الغارة الجوية النهارية علي مدينة روما، وكانت الغارة موجهة بالدرجة الأولى إلي المطارات ومغطات السكك الحديدية، وكان وقعها علي موسوليني شديداً «149».

الحوادث تسير من سيء الى أسوأ

و عندما عاد موسوليني إلي روما وجد أن الحالة أسوأ مما توقعها نتيجة الغارة العنيفة، فقد واجه ثورة من أقرب الناس إليه في قيادة الحزب الفاشستي حتي من صهره شيانو، وكانت هناك مؤامرة، وراء هذه الثورة ضمت حلقة أوسع مدي، و وصلت إلي الملك نفسه للإطاحة به وبعهده.

اجتماع المجلس الأعلى :

و كان الزعماء الفاشيون الناثرون يقودهم «دينو غراندي» وزير العدل و «جيوسيبي بوتاي» وزير التربية، و شيانو صهر موسوليني يطالبون بعقد المجلس الفاشي الأعلى و هو أعلي سلطة دستورية في البلاد، الذي لم يكن قد اجتمع منذ الكانون «ديسمبر» سنة 1939، و قد دفعتهم إلي هذا الاجتماع الحالة الطارئة التي فرضها عليهم غزو الحلفاء لصقلية. و اجتمع المجلس يوم 4 ناصر «يوليو» سنة 1943 و وجد موسوليني نفسه - لأول مرة منذ تولي الدكتاتورية - هدفًا لنقد عنيف وجه إليه بسبب الكارثة التي قاد البلاد إليها. و اتخذ المجلس قراراً بأغلبية «19» مقابل «8» يطالب بإعادة الملكية الدستورية علي أن يقوم إلي جانبها برلمان ديمقراطي، و طالب أيضاً بإعادة القيادة العليا للقوات المسلحة إلي الملك نفسه. و لم يكن الفاشيون - فيما يبدو - يرغبون في المضي أبعد من هذا، و لكن كانت هناك مؤامرة أخرى أكثر اتساعاً يشترك فيها عدد من القادة العسكريين و الملك، و قد قفزت الآن إلي عالم الوجود، و يبدو أن موسوليني نفسه قد تصور أنه تمكن من التغلب علي العاصفة إذ أن القرارات في إيطاليا لم تكن تتخذ علي أي حال بأغلبية الأصوات في المجلس الأعلى بل من الدوتشي نفسه «150».

اعتقال موسوليني :

و في يوم 25 ناصر «يوليو» سنة 1943 ذهب موسوليني لمقابلة الملك الذي كان قد أعد العدة للقبض عليه، و أوضح له الملك أهمية القرار الذي اتخذته المجلس الأعلى باعتباره أحد أجهزة الدولة التي وافق عليها البرلمان، و كل قرار يتخذه المجلس الأعلى له مكانة سامية و الأهمية و نهه الملك إلي سوء الأوضاع في إيطاليا فقد غدت أرضاً خربة و انحلت معنويات الجيش انحلالاً كاملاً، و لم تعد للجندو رغبة في مواصلة الحرب، و أكد الملك لموسوليني أن اقتراح المجلس الأعلى شيء مرعب و مخيف، فهناك تسعة عشر صوتاً إلي جانب مشروع غراندي، و عليه ألا يشك لحظة واحدة في مشاعر إيطاليا تجاهه، فهو في هذه

(149)، نفس المرجع صفحة 209.

(150)، ألمانيا هتلرية جـ 4 صفحة 115.

اللحظة أكثر رجل تكرهه إيطاليا، وأنه هو صديقه الذي لا زال علي صداقته، وطمأنه بأنه يجب شيئاً علي سلامته و سيضمن له الحماية.

وأخبره الملك بأن الماريشال بادليو سيخلفه في الحكم وأنه يتمتع بثقة الجيش الكاملة، وقد استقبل موسوليني هذا الأمر قائلاً : « إذا كنت جلالتك علي حق فيما قلته فسأقدم استقالتي ».

فقال الملك : « أجل و أنا لك إنني أقبل استقالتك من رئاسة الحكومة دون قيد أو شرط » « 151 ».

بعد هذا اللقاء سيق موسوليني إلي إحدى سيارات الأسعاف التي كانت تنتظر خارج القصر و بداخلها عدد من الجنود المسلحين، و انطلقت به إلي إحدى النكنات العسكرية حيث اعتقل بها في حراسة مشددة.

وأعلنت استقالة موسوليني من رئاسة الحكومة وتعيين المارشال «بادليو» خلفاً عنه، وانطلقت الجماهير في الشوارع عتف و ترقص و تغني، فقد سقط موسوليني وأصبحت الحرب علي وشك النهاية، وأن الفاشية قد انتهت و انطلقت اللعنات تنصب علي موسوليني، وبدأ أن الناس تحولوا جميعاً وبسرعة البرق إلي أعداء للفاشية و حاول بعض كبار الفاشيين تعبئة الحرس الفاشي إلا أنه لم يلب نداء الواجب إلا خمسون فاشياً لم يجدوا ما يعملونه «152».

وهكذا هوي موسوليني، و كان خطأه يكمن في أنه حاول أن يصنع من الشعب الإيطالي دولة عسكرية و استعمارية كبري، ولم يكن الإيطاليون مؤهلين لهذه الخطوة إطلاقاً، فقد كانوا مغرقين في حياة الحصار الوادعة، و ربط موسوليني مصيره بعجلة «الرايح الثالث» فلما دارت الأمور- ابتداء من صيف عام 1943 - بعكس ما كان يُرجي و يُستهي وأخذت ألمانيا في الذبول و الانحدار وجد نفسه هو الآخر يهوي نحو النهاية المحتومة.

حكومة بادليو:

انهارت الفاشية بنفس السهولة التي انهار بها مؤسسها، وألف المارشال بادليو حكومة لا حزبية من كبار القادة العسكريين و كبار الموظفين، و قام الرئيس الجديد بحل الحزب الفاشي، و أقال كبار الفاشيين من مراكزهم الحساسة و أطلق سراح جميع مناهضي الفاشية «153».

و كانت حكومة بادليو في وضع لا تحسد عليه فالغارات الجوية مستمرة، و كانت سبباً في نقص الأطعمة بدرجة كبيرة في مختلف أجزاء البلاد، وبدأ يسود قدر من عدم الاستقرار الاجتماعي الذي كانت تسببه العناصر الشيوعية في شمال إيطاليا، وأخذ الشعب الإيطالي نفسه يتوق إلي الإسراع في إنهاء الحرب.

استسلام إيطاليا :

في أوائل هنيال «اغسطس» سنة 1943 مفاوضات إلي لشبونة بالبرتغال لبحث شروط الهدنة، ولم يعرف أمر هذه الاتصالات سوى عدد قليل، ولم يطلع هتلر عليها وإن كانت ساورته الشكوك من أن مثل هذه الاتصالات تجري في الخفاء، هكذا وقعت الهدنة في 3 من شهر الفاتح «سبتمبر» بين إيطاليا و الحلفاء في صقلية علي أن لا تعلن و لا يسري مفعولها إلا بعد أن اتخذ الحلفاء استعدادتهم لإنزال قواتهم يوم 9 الفاتح «سبتمبر» قرب «سالرنو» «154».

و أدي إعلان استسلام إيطاليا إلي تعقيد المشاكل بالنسبة للألمان الذين أصبحوا لا يواجهون الحلفاء فقط، بل كان عليهم أيضاً مواجهة الإيطاليين الذين تخلوا عن قضيتهم المشتركة، و أما هذا الوضع السيء اضطر الألمان إلي دعوة الإيطاليين إلي الاستسلام و تجريدهم من الأسلحة و القبض عليهم كأسري حرب في كثير من المواضع، و قد بدأ علي الإيطاليين الفرح لأن الحرب قد انتهت في النهاية، و قضى بذلك علي الجيش الإيطالي قضاءً تاماً «155».

(152) نفس المرجع صفحة 280. (153) ألمانيا الهطرية جـ 4 صفحة 117.

(154) معارك الجيش الألماني صفحة 211.

(155) نفس المرجع صفحة 219.

محاولة الأخيرة لإنقاذ الفاشية

و نُقل موسوليني في اليوم التالي لاعتقاله إلى جزيرة «فيتونيني» التي علي بعد ثلاثين ميلاً إلى الجنوب، ولكن وضع الجزيرة - فيما يبدو - لم يكن مناسباً لسجن شخصية مثل موسوليني. فقد رفض قائد الشرطة بالجزيرة التعاون، كما أنه كانت بالجزيرة حامية ألمانية فأُقلعت السفينة التي أقلت موسوليني علي الفور.

و نُقل موسوليني إلي جزيرة «مادالينا» وهي جزيرة منعزلة وتقع علي مقربة من الطرف الشمالي لجزيرة «سردينيا» وبقي بها ثلاثة أسابيع «156».

إنقاذ موسوليني :

وخشيت حكومة بادليو أن يحرر الألمان موسوليني من سجنه فيحدث ما لا تُحمد عقباه، وتحت هذا الاحساس العميق من الخوف قرت في يوم 28 هنيبال «اغسطس» نقله من «مادالينا» إلي فندق علي ظهر جبل يدعي «جران ساسو» أو الصخرة العظيمة، وهو أعلى قمة في جبال الابنين البروزية، ولا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق سكة حديدية معلقة «157». و اهتم هتلر بإنقاذ موسوليني، وكلف «أوتوسكورزني» النقيب في وحدة من وحدات الحرس النازي بالقيام بهذه المهمة. وبذل «سكورزني» مجهودات كبيرة، وأجرى تحريات دقيقة في محاولة إقناع أثر موسوليني الذي نُقل تحت سرية مطلقة وغربت مواضع إقامته عدة مرات، وتكللت هذه الجهود بالنجاح فقد اكتشف أن المكان الأخير الذي نُقل إليه هو الصخرة العظيمة، وقام علي الفور بعملية استطلاع لتلك المنطقة، ووضع خطة لإنقاذ موسوليني من أيدي سجنائه، ورأي أن من الواجب الإسراع بالعملية وإلا نُقل موسوليني إلي مكان آخر، كما أن هناك مراً أشد خطورة، وهو احتمال تسليم موسوليني إلي الحلفاء في حالة توقيع إتفاقية الهدنة «158».

وقد تقرر إنزال قوة من الجنود بالطائرات الشراعية فوق الصخرة بالقرب من الفندق الذي يحتجز فيه موسوليني، ثم تقوم القوة باقتحام الفندق وتحريره، وبالفعل هبطت الطائرات الشراعية في الساعة الثانية بعد الظهر الظهر يوم 12 من شهر الفاتح «سبتمبر» سنة 1943 و اندفع الجنود مسرعين إلي داخل الفندق، وبالرغم من أن المكان كان يعج بالجنود الإيطاليين إلا أنهم هجروا مواقع مدافعهم الرشاشة وهرعوا بحثاً عن ملجأ بعد أن رأوا الفدائين الألمان، وبعد أن قذفوا بما يحملونه من بنادق وقنابل الأرض في طريق فرارهم «159».

و تمكن «سكورزني» من نقل موسوليني بواسطة طائرة صغيرة أقلعت بصعوبة من فوق الجبل نقل فيها إلي فيينا. وفي 15 الفاتح «سبتمبر» قابل هتلر موسوليني بمقر قيادته، وكان موسوليني ميالاً للانسحاب من الحياة العامة ليجنب إيطاليا الحرب الأهلية، ولكن هتلر صارحه بالقول هذا سخف. فاعتزاله الحياة العامة أمر خارج عن الموضوع إطلاقاً، إذ أنه يظهر للعالم أن الدوتشي لم يعد مؤمناً بانتصار ألمانيا وعلي الدوتشي أن يعيد نظره في الموضوع، و ما لم تقم حكومة فاشية قوية في شمال إيطاليا، فلا يعرف أحد ماذا سيحل بالشعب الإيطالي.

ولم تكن الحكومة الفاشية التي أعلنت الإذاعة الألمانية قيامها في التاسع من الفاتح «سبتمبر» أكثر من مرحلة انتقالية، وهي لن تجدي شيئاً دون زعامة الدوتشي لها، وعلي الدوتشي نفسه أن يعود، وأن يحاكم خونة الخامس والعشرين من يوليو وأن يعدهم، وعلي العالم أن يسمع من جديد تأكيداً بنبضه من الخور، وإنه يجب إعداد دستور للجمهورية الجديدة «160».

(159) بنيتو موسوليني صفحة 321.

(160) نفس المرجع صفحة 329.

(156) بنيتو موسوليني صفحة 301.

(157) ألمانيا الهتلرية جـ 4 صفحة 128.

(158) بنيتو موسوليني صفحة 319.

قيام الجمهورية الإيطالية الاشتراكية :

وأخذ موسوليني في إعادته تنظيم حكومته الجديدة ، وإقامة البناء الجديد للفاشية وأعلن في منتصف شهر سبتمبر سنة 1943 مولد الجمهورية الإيطالية الاشتراكية في صورة أوامر تنص علي أن يستأنف الدوتشي السلطة العليا في توجيه الفاشية في إيطاليا ، وأن يتولي إعادة تنظيم الحزب الفاشي تحت اسمه الجديد « الحزب الفاشي الجمهوري » وأن يقوم بإعادة تشكيل الحرس الفاشي وإعادة التعاون مع الألمان ، ومعاقبة من سماهم باسم الخونة ، وفي السابع والعشرين من شهر الفاتح « سبتمبر » استقبل موسوليني عدداً من أعضاء حكومته جاءوا لتأدية بين الولاء له كرئيس كرئيس للجمهورية ، وكانت تغلب علي وزراء موسوليني مسحة الولاء للحلف الألماني و كان من بين هؤلاء المارشال « غارتسياني » الذي تحدث إلي ضابط ألماني فقال : « لم أكن في يوم من الأيام فاشياً ، وإنما كنت دائماً جندياً يطيع الأوامر » ، وبالرغم من أنه اعترف بخيبة أمله في عودة موسوليني للحكم ، إلا أن كراهيته لبادليو واحتقاره للساسس السياسية التي كان يقوم بها ضباط القيادة العامة كانا كبيرين بحيث حملنا الألمان علي تجاهل عيوبه السياسية وعن فاشيته « 161 » .

وعندما تقرر بناء علي نصيحة الألمان إقامة عاصمة للحكومة الجديدة في بلدة « سالو » علي بحيرة « جاردا » بدلاً من روما التي قد ينسحب منها الألمان عما قريب أمام الحلفاء ، انتقل إلي دارفي بلدة « جرجانو » الصغيرة الواقعة علي بعد بضعة أميال إلي الشمال من « سالو » علي شاطئ البحيرة « 162 » .

محاكمة المنشقين علي موسوليني :

وبدأ موسوليني عهد الجمهورية الجديدة بمحاكمة من اسماهم بخونة الخامس والعشرين من يوليو ، وأصدر في ارباع والعشرين من الحزب « نوفمبر » سنة 1943 مرسوماً بإقامة المحكمة الخاصة ، ولم يخل أمام المحكمة من التسعة عشر متهماً إلا ستة فقط ، أما الباقون فقد تمكنوا من الفرار إلي الخارج أو الاختفاء في إيطاليا ، وكان الحاضرون هم « اميليو دي بونو » و « توليو شياني » و « جيوفاني مارينلي » و « لوشافو جوتاردي » و « كارلو باريسي » و « شيانو » . وبدأت المحاكمة في الساعة التاسعة من صباح السبت الثامن من أي ألتار « يناير » سنة 1944 بمدينة « فيرانا » وقد اتهم المسجونون بأنهم انتهزوا فرصة الاقتراع في المجلس الأعلى للفاشية في الخامس والعشرين من شهر ناصر « يوليو » سنة 1943 في مدينة روما فقاموا مع بعضهم وحاولوا تخطيم استقلال الدولة ، وأنهم لم يحبطوا روح المقاومة المعنوية عند الأمة فقط بل أحبطوا العمليات العسكرية أيضاً ، وعملوا بذلك علي مساعدة العدو وتخفيف الأعباء عنه « 163 » . وفي يوم الاثنين العاشر من يناير صدر الحكم علي جميع المتهمين بالإعدام باستثناء شياني الذي قضت المحكمة عليه بالسجن ثلاثين عاماً ، وأعدم باقي المتهمين بأن أطلقت النار علي أقيمتهم كما يفعل بالخونة « 164 » .

الأيام الأخيرة للنظام الفاشي :

تراجع القوات الألمانية :

أنزل الحلفاء قواتهم علي الأرض الإيطالية في أوائل الفاتح « سبتمبر » ففي 3 سبتمبر 1943 نزل البريطانيون في كالبريا بجنوب إيطاليا و نزل الأمريكيون في سالرنو في جنوب نابولي في 9 سبتمبر وكانت الحرب في هذه الفترة عبارة عن اشتباكات

(161) بيترو موسوليني صفحة 335 .

(162) نفس المصدر صفحة 339 - كان من أهم مظاهر الضعف في جمهورية سالو أنها أقيمت في ذلك المكان البعيد في الشمال لصعوبات عسكرية ملحة ، ولا ريب أن الحكومة بتخليها عن روما عاصمة البلاد التاريخية قد أعطت للعاصمة الجديدة مكانة ضئيلة وضع غريب .

(163) بيترو موسوليني صفحة 341 .

(164) نفس المرجع صفحة 347 .

تجري كنفلات ، فعند مواضع للدفاع تقوم بالمقاومة التي قد تطول أو تقصر وتنتهي بالانسحاب إلى موضع جديد ، و ذلك لاجتناب خطر إحاطة القوات و حصارها ثم تدمرها .

و أخذت القوات الألمانية تتسحب أمام ضربات الحلفاء فخسرت سالرنو ثم نابولي و احتلت بعد ذلك خطأً دفاعاً علي امتداد وسط إيطاليا و في أضيق جزء منه من شبه الجزيرة جنوب روما ، و قد ظل هذا الخط في يد الألمان إلى نهاية الربيع «مارس» سنة 1944 «165» .

و في 20 أي النار «يناير» سنة 1944 أنزل الحلفاء قرايتهم في آنزيو كي يقطعوا علي الألمان خط الرجعة ، و في شهر الماء «مايو» تمكنت جيوش الحلفاء من دفع قوات الألمان شمالاً و سقطت روما في يد الأمريكيين في الرابع من شهر الصيف «يونيو» سنة 1944 ، أي قبل يومين من نزول الحلفاء في نورمندي بشمال فرنسا .

و استمر الحلفاء في زحفهم علي المدن الإيطالية التي يحتلها الألمان فسقطت «فلورنسا» في 11 من هنيالك «اغسطس» و «بيزا» في أوائل الفالح «سبتمبر» و «رعميني» في 28 منه ، و «رافنا» في أوائل الكانون «ديسمبر» .
و أخذ الحلفاء من العاشر من الطير «ابريل» سنة 1945 في مهاجمة الألمان من جانبي الجزيرة و بدأت تبعاً لذلك قوي الألمان في التداعي و الانهيار «166» .

البحري وراء الأوهام :

و أدرك موسوليني أخيراً أنهم قد خسروا الحرب و أن النصر أصبح مستحيلاً و أخرج بحث عن وقفة أخيرة تحقق له الجدد ، و اقترح عليه بعضهم في الرابع عشر من ابريل سنة 1945 أن تكون الوقفة الأخيرة في فالتيلينا إلى الشمال من برجامو و بدأ موسوليني راضياً بهذا الاقتراح دون مناقشة و عندما اعترض غراتسياني علي هذا المشروع بدعوى أنه لم تُعد تفاصيل واقعية علي هذا المخطط أعلن موسوليني أنه ليس هناك إرغاماً لأحد بالمضي معه ، و علي كل منهم أن يقرر لنفسه .
و اجتمع وزراء الجمهورية الاشتراكية للمرة الأخيرة في السادس عشر من شهر الطير «ابريل» و أعلن موسوليني أن الاجتماع المقبل سيكون في ميلان ، و نصحه الألمان بعدم الرحيل إليها علي اعتبار أن بحيرة جاردا تقع علي الطريق الرئيسي لتراجع الجيش الألماني أما في ميلان فسيكونون عاجزين عن تأمين الحماية الكافية للفاشين ضد رجال المقاومة السرية ، و مع ذلك رحل موسوليني إلى ميلان في التاسع عشر من أبريل مصحوباً بحرس من القوات الألمانية «167» .

و أخذت المشاكل تتزايد و تتعقد أمام موسوليني ففي كل ساعة تصل إليه أنباء كارثة عسكرية عن مدينة تسقط أو تراجع مستمر ، و سمع في العشرين من الطير «ابريل» بسقوط مدينة «بولونيا» و في الثاني و العشرين منه بتقديم الحلفاء علي طول نهر «البو» و بسقوط مدينتي «مودينا» و «ريجيو» و جاءته الأنباء في اليوم التالي بأن «بارما» قد سقطت و أن الاتصال قد انقطع مع مدينتي «كرموننا» و «مانوتا» و في المساء احتل رجال المقاومة السرية «جنوة» .

و كان الألمان يتراجعون أمام جيوش الحلفاء دون توقف و أصبح الحلفاء علي بعد 60 ميلاً من ميلان و قرر موسوليني أن ينسحب مع ثلاثة آلاف من الحرس الفاشي إلى «فالتيلينا» ليواصل الحرب في الجبال و كان غراتسياني يري أن الفكرة كلها من الناحية العسكرية سخيفة و غير صالحة و نصحه الكاردينال «شوستر» بالآ يجري وراء الأوهام فإن من سيتبعه هناك من الحرس الفاشي لن يزيدوا عن الثلاثمائة «168» .

(165) معارك الجيش الألماني صفحة 222.

(166) تاريخ أوروبا في العصر الحديث ص 699.

(167) بنيتو موسوليني صفحة 393.

(168) نفس المرجع صفحة 396.

ولكن موسوليني أصر علي رأيه، ولم تكن غايته تحقيق نصر عسكري، وإنما كان يريد نصراً معنوياً للفاشية، ولذلك عقد العزم علي الموت في «فالتيلينا» فقد تصوري في نوبة من هديانه أن حياته قد انتهت ولكن الفاشية لم تنته.

محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه :

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر الطير «ابريل» جاء رئيس الشرطة في ميلان و غراتسياني لمقابلة موسوليني و البحث معه في انسحاب القوات الجمهورية من المدينة لإعادة تنظيمها في الشمال، و لكن موسوليني أبلغهما بأنه سيذهب إلي الكردينال «شوستر» رئيس أساقفة ميلان ليطلب منه إعداد اجتماع مع زعماء لجنة التحرير الوطني ليعرف شروطهم للاستسلام، فقد قرأ أن يوفر علي الجيش المزيد من التضييحات، و رجاه «شوستر» عندما التقى به أن يوفر علي إيطاليا المزيد من الاضطراب الذي لا طائل منه، وأن يقبل شروط الاستسلام الشريف.

واقترح موسوليني عند اجتماعه بممثلي لجنة التحرير الوطني أن يتم الاستسلام علي شرط حماية رجال حكومته وأسرههم، و أفراد الحرس الفاشي، وأن يعاملوا معاملة أسري الحرب، و وافق ممثلو حركة التحرير الوطني علي ذلك. «169».

وفيما بدأ أن موسوليني كان يقر شروط مندوبي اللجنة راح الماريشال غراتسياني يعلن فجأة - عندما أثير موضوع مجرمي الحرب - أنه علي الجمهورية الاشتراكية التزامات لحلفائهم الألمان، وليس في وسعهم عقد إتفاق بدون الألمان تمسياً مع قوانين الشرف و الواجب.

غير أن ممثلي لجنة التحرير نهوه إلي أن الألمان لم يحسوا بهذا الواجب عندما وافقوا علي توقيع إتفاق للاستسلام، و أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء إبلاغ الحكومة الاشتراكية، و غضب موسوليني بعد أن تأكد أن الألمان كانوا يجرون محادثات سرية مع الحلفاء لتوقيع الهدنة و أنهم قد خانوه.

و شعر موسوليني أثناء هذه المفاوضات أن المقاومة الإيطالية لم تكن خاضعة لتنظيم موحد، و إنما كانت تسيطر عليها مشارب مختلفة، و أن البعض منهم يريد إلقاء القبض عليه و تقديمه في غضون يومين لحكمة للشعب تنفذ فيه العدالة السريعة، و عندما أبلغ موسوليني بما يُحاك له قرر مغادرة ميلان علي وجه السرعة باتجاه كومو «170».

القبض علي موسوليني :

و بينما كان موسوليني يتجه إلي كومو، أخذ الألمان في إيطاليا يعدون العدة لتنفيذ إتفاق الاستسلام الذي عقد مع قوات الحلفاء و الذي جري الإتفاق بشأنه منذ مطلع شهر النوار «فبراير» سنة 1945 دون علم موسوليني.

و اتفق الألمان و الحلفاء علي الهدنة التي وقعوها في 29 الطير «ابريل» و بمقتضاها سلم الألمان أنفسهم و ألقوا بأسلحتهم دون قيد أو شرط.

و افق ممثلو حركة المقاومة السرية علي شروط الاستسلام الذي تم بين الألمان و الحلفاء، و أعلنت لجنة التحرير الوطني لشمال إيطاليا أنها قد أصدرت أوامرها بأعلان الثورة العامة علي حكومة موسوليني في الخامس و العشرين من شهر الطير «ابريل» و أصدر مسئولو الألمان أوامرههم قبل الشروع في الثورة بوضع ساعات بمنع الجنود الألمان من التدخل في أية قضية إيطالية صرفة «171».

(169) بنيتو موسوليني صفحة 400.

(170) بنيتو موسوليني صفحة 402.

(171) نفس المرجع صفحة 390.

وفي مساء 25 الطير «ابريل» وصل موسوليني إلي كوموبعد أن غادر ميلان التي حاصرتها جماعات المقاومة السرية، واتجه إلي «جراندولا» التي تقع إلي الشمال من كومو ومعها الماريشال غراتسياني وبعض الإيطاليين الآخرين، وكان موسوليني لا يزال يصصر علي وجوب إنقاذ الفاشية عن طريق وقفه أخيرة يصمد بها في الجبال، ولكن لم يبق معه كثيرون يرون هذا الرأي. وبينما كان موسوليني يصصر علي الاتجاه إلي فالتيينا ليقف وقفته الأخيرة هناك، أخذ بعضهم في التخلي عنه خشية الوقوع في أيدي المقاومة السرية وغادروا المكان دون أن يودعوا موسوليني، ولم يودعه غراتسياني كذلك عندما مضى بعد الظهر من يوم 26 ابريل لنظم - فيما يزعم - إلي وحدة الجيش المراقبة في «مانديلو» وراح موسوليني يشكو من أن الجميع سيمضون ويبقي وحيداً «172».

و غادر موسوليني ومن بقي معه من أركان عهده قرية جراندولا في الصباح الباكر من يوم 27 الطير «ابريل» متجهين شمالاً ومعهم قافلة ألمانية من أربعين شاحنة، واصطدمت القافلة بسدادة للطريق أطلق من خلالها عدة أعيرة، وكان الطريق مغلقاً بشجرة ضخمة، وبكتل هائلة من الصخ وضعفت في منتصفه، وكانت البحيرة تقع إلي يمين الطريق، بينما يقوم إلي شماله جدار صخري تغطيه الغابات كان يدعي باسم «روكا دي موسو» «173».

وأبلغ رجال القافلة من بالقافلة أنه سيسمح للألمان بالمرور عبر الحاجز، وحسب التعليمات التي عندهم فلن يسمح لأي من الفاشال الفاشين بالمرور، أما السيارات الألمانية فسيسمح لها بالاجتياز علي أن تفتش في «دوئجو» للبحث عما إذا كان بعض الفاشيين يختبئون فيها.

وقد حاول موسوليني الفرار عن طريق اختبائه في إحدى سيارات الشحن الألمانية بينما رفض رجال المقاومة السماح للسيارات الإيطالية بالمرور «174».

وفي حوالي الساعة الثالثة من يوم 27 الطير «ابريل»، مضت الشاحنة التي تحمل موسوليني إلي «دوئجو» ولم يكد الألمان يبعثون بسياراتهم حتي تقدم رجال المقاومة السرية بحيلة وحذروا اعتقال الوزراء والموظفين الآخرين الذين احتجزوا عند سدادة الطريق وقد استسلم معظمهم دون مقاومة.

وفي «دوئجو» بدأ رجال المقاومة في تفتيش الشاحنات فاكشفوا وجود موسوليني في إحداها، وبعثت علي الفور رسالة إلي «لجنة التحرير الوطني» في كومو تبلغهم الخبر.

ونقل موسوليني إلي مكان أمين خوفاً من قيام محاولة لإنقاذه، واعتقلت معه أيضاً «كلاريتا بيتاتشي» عشيقته التي راحت تتوسل إلي المسئول عن المقاومة السرية في دوئجو السماح لها بالالتحاق به لتشاركه مصيرة «175».

السقوط الأخير:

وعندما انتشر نبأ اعتقال موسوليني تنادى مختلف أعضاء لجنة التحرير الوطني لشمال إيطاليا، والممثلون الرئيسيون لفيلق متطوعي الحرية إلي اجتماع عقدوه في ميلان.

وصدر حكم من ستة أو سبعة باسم لجنة التحرير الوطني يقضي بإعدام موسوليني وجميع وزرائه فور اعتقالهم وتميز هوياتهم، وكان قد تقرر أن يُحمل موسوليني إلي ميلان ميثاً، وتحمل مهمة تنفيذ الحكم «ولتر أوديسيو» الذي عرف أيضاً باسم «الكولونيل فاليريو» «176».

(175)، نفس المرجع صفحة 421.

(176)، بنيتو موسوليني صفحة 434.

(172)، بنيتو موسوليني صفحة 413.

(173)، نفس المرجع صفحة 415.

(174)، نفس المرجع صفحة 419.

و حمل فاليريو تصريحاً بأنه قد كُلف بمهمة إلى كومو ومقاطعتها، وخوله هذا التصريح التجول بحرية، ورافقه في سيارته «الدولامبريدي» العامل، وكان هو أيضاً برتبة عقيد فيلق متطوعي الحرية، وخلفهما سيارة شاحنة تحمل اثني عشر رجلاً من المقاومة يقودهم «ريكاردو مورديني».

وبعد اتصالات ومداولات ومحاولات متكررة استطاع «ارديسيو» و«لامبريدي» تحديد المكان الذي أخفي فيه موسوليني، وفي يوم 28 الطير «أبريل» سنة 1945 وفي حوالي الساعة الرابعة اقتيد موسوليني والتي كانت تصحبه «كلاريتا بيتاتشي» وأعدما بإطلاق النار عليهما «177».

و تُركت الجثتان في حراسة شخصين، وذهب أوديولي شرف علي إعدام خمسة عشر رجلاً من الذين أسروا في «موسو» وحملت الجثتان ووضعتا فوق الجثث الأخرى في سيارة كبيرة حيث نقلت إلى ميلان «178».

وتوقفت السيارة التي تقل الموتى في الساعات المبكرة من صباح التاسع والعشرين من شهر الطير «أبريل» سنة 1945 أمام مرآب «كاراج» لم يكتمل بناؤه في ميناء «لوريتو» البحري حيث كان الألمان قد أعدوا خمسة عشر من الرهائن قبل نحو تسعة شهور، وما حانت الساعة التاسعة من ذلك الصباح حتي كان قد تخلق حول الجثث جمهور غفير كل منهم يحاول رؤية القتلي، وسرعان ما أوحى لهم ذلك برغبة عارمة في تعليق الجثث، فجاء بالحبال وشدت الجثث، وارتفعت جثة موسوليني أولاً من رجليها ثم رفعت جثة كلاريتا بيتاتشي، وأدرك الناس أن الدوتشي مات ماتاً أخيراً، وأنه دُبح دون محاكمة، وكان من الواجب علي الأقل لرجل حكم هذه الجماهير مدة طويلة أن يوفر له بعض الاحترام الذي يليق بمن قُتل بدلاً من الإهانات والشتائم «179».

وهكذا سقط موسوليني وسقطت الفاشية، وانتهت بذلك حقبة شديدة قتامة، امتدت منذ توليه السلطة وتأسيسه للنظام الفاشي سنة 1922 وحتى سقوطه في الثامن والعشرين من أبريل سنة 1945.

لقد أدي إعلان موسوليني الحرب علي بريطانيا وفرنسا سنة 1940 إلي زعزعة نظامه، فقد زج بالشعب الإيطالي في حرب غير مستعد ولا مهياً لها، جرّت علي الإيطاليين سلسلة طويلة من الهزائم والانكسارات الشنيعة، فكره الإيطاليون نظامه وما جرّه عليهم من ويلات ودمار.

وكان سقوط موسوليني مؤذناً بتحرير الشعوب التي رزحت تحت طغيان الحكم الفاشي ودمويته، وذاقت علي يديه الأمرين، إن انجازر التي اقترفتها الحكم الفاشي في ليبيا والصومال وأريتريا والحبشة وغيرها أدت إلي كراهية الناس لهذا النظام ولأسلوبه، واعتبروا سقوطه بهذه الصورة نتيجة طبيعية لسياسة استعمارية خرقاء مبنية علي العنجهية والغلبة والقسوة التي لا حدود لها، ومثل هذا السقوط المريع جزاء يستحقه من سبّب للبشر تلك الآلام والأحزان.

نظرة أخيرة:

وصل موسوليني إلي قرية «جراندولا» التي تقع الشمال من كومو مساء يوم 25 الطير «أبريل» سنة 1945، وكان قد تقرر أن يقف وقفته الأخيرة في «فاليلينا» في الجبال، وفي هذا الوقت تماماً أخذ بعضهم في التخلي عنه خشية الوقوع في أيدي المقاومة السرية، وتركوا المكان دون أن يودعوه، وكان من بينهم غراتسياني الذي مضى بعد ظهر السادس عشر من أبريل لينظم إلي وحدة الجيش المراقبة في «مانديلو».

(177)، نفس المرجع صفحة 443.

(178)، نفس المرجع صفحة 445.

(179)، بنيتو موسوليني صفحة 447.

وترتبط شخصية غراتسياني ارتباطاً وثيقاً بالنظام الفاشي. فهو الرجل الذي ظل علي اتصال بهذا النظام منذ أعلنت الفاشية سنة 1922 وحتى النهاية، وهي نفس الفترة التي أخذت فيها شخصية غراتسياني في الظهور علي مسرح العمليات العسكرية في ليبيا، وال التي منحه شهرة واسعة لا يستحقها كما بينت الأحداث فيما بعد.

و كان غراتسياني و الأمور مقبلة و الانتصارات تتحقق في منتهي الفاشية، فهو يعلن عند نزوله ببغازي في شهر الربيع «مارس» سنة 1930 «أن عمله هو التمسك بعباءة الدولة الفاشية و الولاء لها، فهو بصفته قائد فرقة عاملة في الجيش يحرض علي التصريح بأن مبادنه فاشستية خالصة «180» و إذا به في سنة 1943 يقول لأحد الضباط «لم أكن في يوم من الأيام فاشياً و إنما كنت دائماً جدياً يطعم الأوامر».

فغراتسياني - كما يبدو من تصريحاته - متلون نهّاز للفرص، فهو و الدنيا مقبلة و الانتصارات تتوالي، و الترقبات تترى بعضها في إثر بعض، و الشارات العسكرية تلمع فوق الأكتاف. و التقرير يصدر من الجهات الاستعمارية و الفاشية، و المدح تكيله صحافة الدولة، فاشي مخلص مقتنع بأهداف الفاشية و تعليمها، و عندما ارتعدت فرائض الفاشية، و اهتزت أركانها، و تقلص نفوذها، و انكمش حيزها إذا به يصرح لم يكن في يوم من الأيام فاشياً، و هو نفسه الذي تخلي عن موسوليني عندما اشتدت محنته، و زادت عزله، و قربت نهايته، و سلك سبيلاً مختلفاً، فحينما اتجه موسوليني إلى شمال إيطاليا يبحث عن نهايته هناك اتجه غراتسياني إلى وحدة للجيش الجمهوري لعله يتملص من النهاية التي حاقت بأنصار الحكم الفاشي.

و كان غراتسياني عند نشوب الحرب العالمية الثانية قائداً للجيش العاشر الإيطالي تحت إمرة الحاكم العام لليبيا «إيتالو بالبو» و وقعت في نهاية سنة 1940 معركة سيدي براني «التي كانت البداية في اندحار القوات الإيطالية في شمال أفريقيا، و عندما استسلمت بقايا الجيش العاشر الإيطالي شمال مدينة اجدابيا، و كانت معركة سيدي براني أول المعارك الهامة التي يخوضها الإيطاليون و هم عازمون علي التقدم شرقاً و الاستيلاء علي مصر و قناة السويس، و كان احتلال مصر يعني قطع خطوط المواصلات بين بريطانيا و مستعمراتها في الشرق، و السيطرة علي البحر الأبيض المتوسط، و تأمين المواصلات بين إيطاليا و شمال أفريقيا.

و تشاء الأقدار أن تكون الهزيمة في سيدي براني نقطة تحول خطيرة في الأحداث التالية، فقد كشفت للعالم مدي ضعف الجيش الإيطالي، و سوء تكوينه و تدريبه، و تخلفه في المعدات و الفنون العسكرية، و انحطاط روحه المعنوية، و اعتباره قوة واهية ليست بذات قيمة مهمة، و اعتبرت الهزيمة من ناحية أخرى لكمة قوية علي وجه النظام الفاشي الضعيف، و ضربة صاعقة لم يبق منها هذا النظام مطلقاً.

إن هزيمة الجنرال غراتسياني في أول و أهم معركة يخوضها الإيطاليون بعد نشوب الحرب العالمية الثانية، كانت بحق هزيمة للنظام الفاشي، بحيث هرع الألمان لمساندة حلفائهم المتراجعين تحت وقع الهزيمة الثقيلة، بحيث تمكنوا القول أنهم أصبحوا عبئاً ثقيلاً علي حلفائهم الألمان.

و عندما استسلمت قوات اخور في تونس و انتقلت العمليات العسكرية إلى البحر الأبيض المتوسط، و بدأ الحلفاء ينوون غزو إيطاليا، عُين غراتسياني - الذي كان قدرقي إلى رتبة المارشال - قائداً للجيش السادس الإيطالي في صقلية، و كانت تحت إمرته حوالي ثلاثمائة ألف جندي، و كانت صقلية أول أرض إيطالية يطأها الحلفاء، و بالرغم من الاستعدادات التي اتخذت للدفاع

(180)، عمر اختار و إعادة الاحتلال الفاشي لليبيا صفحة 107.

عن الجزيرة، إلا أن الجنود أخذوا في نسف المعدات والذخيرة قبل وصول العوابع وعشرين ساعة، وعجز غراتسياني عن السيطرة علي تلك القوات التي اعتراها الهن والتفكك، وسقطت صقلية وكانت أول أرض إيطالية تسقط في يد الحلفاء، وكان سقوطها مؤذناً بسقوط موسوليني والنظام الفاشي معه، وإذا كانت هزيمة غراتسياني في سدي براني وتدمير الجيش العاشر الإيطالي في شمال اجديا قد أدت إلي زعزعة النظام الفاشي واضطرابه، فإن تفكك الجيش السادس الإيطالي وانحلاله أدى إلي تدمير النظام الفاشي ونهايته.

و عندما أنقذ الألمان موسوليني من سجنه، و كَوّن جمهوريته الاشتراكية الهزيلة، تولى غراتسياني منصب وزير الدفاع في هذه الجمهورية التي رأى فيها رجال المقاومة مجرد جنود شرطة وضعوا لحماية الألمان، وكانت جمهورية موسوليني الاشتراكية قد أقيمت في شمال إيطاليا بعيداً عن روما العاصمة التاريخية لإيطاليا، وهو ما أعطاها شكلها الغريب ووضعها غير المطمئن، إذ كان بقاؤها مرمرهوناً ببقاء الألمان، فهي تقع في مكان خاضع لسيطرة الألمان الذي أخذت جبهتهم في التراجع تحت وطأة ضربات الحلفاء، وأخذت تبعاً لذلك جمهورية موسوليني في التقلص والانكماش، وبدأت تعثر بها سكرات الموت، وتلوح في أفقها النهاية المحتومة.

وظل غراتسياني سائراً في ركاب موسوليني مصاحباً لخط سير الجمهورية الآخذة في الانحدار والتلاشي، إنه بحق حامل حظوظ الدولة الفاشية، وهو يدرك أنه لم يعد ما يمكن عمله من أجلها وها هي توشك علي الانتهاء بعد أن قل ناصرها، وغاب مؤيدها، وأصبحت مجرد تابع للألمان، و وصلت إلي حد لا يستطيع معه أي إنسان مهما كان أنينهض بأمرها أو يصلح من شأنها فقد أوشكت شمسها علي الأفول.

و عندما أدرك غراتسياني أنه قد حانت النهاية، وأن كل شيء يمضي بسرعة إلي زوال أكيد، انفصل نهائياً عن موسوليني وقرر الاتجاه إلي إحدى وحدات الجيش تاركاً موسوليني إلي نهايته المحتومة.

إن عمليات الإبادة والقمع التي قام بها الإيطاليون وخاصة في برقة يتحمل وزرها ساس ساسة الدولة و علي رأسهم موسوليني ورجال حكومته، وآخرون يحتلون مراكز مرموقة في ليبيا من أمثال غراتسياني وبادليو ومن يتبعهما من مروضين، بالرغم من ذلك فإن المقاومة الإيطالية التي تكونت لمكافحة الفاشية في إيطاليا مكنت في مرحلة تصفية الفاشية ضباطاً كباراً من أمثال غراتسياني الذي اقتصرت عمليات التدمير والإبادة في ليبيا، ومذابح عام 1937 في الحبشة، وتولى منصب القائد العام في جمهورية «سالو» التي أعلنها موسوليني في شمال إيطاليا في «نومبرغ» ولم توجه إليه تهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية تقضي إلي إعدامه، بل أفلت من الإعدام مدّعياً أن ما قام به كان من أجل الدفاع عن وطنه، وهكذا ترك دون عقاب.

نبت بالهصادر والمراجع

- 1- آراء في السوق والتعبئة ومبادئ القيادة - معمر القفا في «بنغازي - ليبيا 1969».
- 2- الاستعمار والمذاهب الاستعمارية - د. محمد عوض: «القاهرة 1961».
- 3- أصول القيادة ومشاهير القادة - السيد فرج كتاب الجمهورية 10 «مصر».
- 4- برقة الخضراء - اتيلوتروتس، تعريب خليفة محمد التليسي. «الدار العربية للكتاب - ليبيا 1991».
- 5- برقة الهادئة - رودلفو غراتسياني، تعريب إبراهيم سالم بن عامر. «بنغازي - ليبيا 1975».
- 6- بعد القرضابية - خليفة محمد التليسي «الدار العربية للكتاب - ليبيا 1978».
- 7- بينتو موسوليني - كريستوفر هيرت - تعريب خيرى حماد «دار المعارف - مصر 1965».
- 8- التاريخ العسكري في 100 سؤال - فتحي عبد الله النمر - «مصر 1965».
- 9- تاريخ ألمانيا الهتلرية - وليام شيرر - تعريب خيرى حماد «بيروت 1966».
- 10- تاريخ أوروبا في العصر الحديث - هيرت فيشر - تعريب أحمد نجيب هاشم و وديع الضيع «دار المعارف - مصر 1958».
- 11- ثعلب الصحراء - بول كارل، تعريب كمال عصمت، الشريف «مكتبة الأنجلو - مصر».
- 12- جهاد الأبطال - الطاهر أحمد الزاوي، «بيروت 1973».
- 13- حاضر العالم الإسلامي - لوثرروب ستودارد، تعريب عجاج نويهض «طرابلس - 1971».
- 14- رومل ثعلب الصحراء - ديسموند يوغ، تعريب المهدي سعد الأبيض. «مطابع الثورة - بنغازي».
- 15- العالم العربي - د. نجلاء عز الدين، تعريب محمد عوض إبراهيم وآخرون «القاهرة - 1962».
- 16- المارشال رومل - عمر أبو النصر. «بيروت - 1969».

- 17- المشير فون رونشتد - كونثر بلومنتريت ، تعريب محمود شيت خطاب « بيروت - 1966 ».
- 18- عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا - « مركز دراسة جهاد الليبيين 1988 ».
- 19- عمر المختار نشأته و جهاده . « مركز دراسة جهاد الليبيين 1988 ».
- 20- ليبيا بين الماضي والحاضر - حسن سليمان محم محمود « مؤسسة سجل العرب - القاهرة 1962 »
- 21- مذكرات جوليتي - تعريب خليفة محمد التليسي « الدار الجماهيرية للنشر 1986 ».
- 22- مذكرات رومل - تعريب فتحي النمر « مكتبة الأجلو - مصر 1965 ».
- 23- مذكرات زوكرف - عمر أبو النصر « بيروت 1970 ».
- 24- معارك الجيش الألماني في الغرب - سيفريد وستفال، تعريب زكي عبد المجيد. « بيروت 1967 ».
- 25- معارك الشرق الأوسط - محمود صبحي و أحمد شوقي عبد الرحمن « مكتبة النهضة - القاهرة ».
- 26- معجم البلدان الليبية - الطاهر أحمد الزاوي « ليبيا - 1968 ».
- 27- معجم معارك الجهاد - خليفة محمد التليسي « طرابلس - 1983 ».
- 28- من داخل معسكرات الجهاد - جورج رمون ، تعريب محمد عبد الكريم الوافي « بنغازي - 1988 ».
- 29- من نورماندي إلى البلطيق - مونتجومري ، تعريب عبد الحميد أحمد نعمت « مصر - 1953 ».
- 30- نحو فزان - رودلفو غراتسياني ، تعريب طه فوزي « طرابلس 1973 ».
- 31- هتلر الغازي - رمون كارتيه ، تعريب باسيل دقاق « بيروت - لبنان 1974 ».
- 32- هتلر من القوة إلى الانهيار - بنيامين إيبيل ، تعريب فؤاد نخلة « بيروت - 1965 ».

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	5
الجزء الأول	8
الهزعة بين براني واجدابيا .	9
الأحلام التوسعية .	9
الاحتلال الإيطالي لليبيا .	10
1- الاحتلال الإيطالي و نمو حركة المقاومة .	10
2- إعادة الاحتلال الإيطالي لليبيا .	10
العمليات الحربية لاحتلال واربلس الغرب	
غراتسياني .	11
الاتجاه نحو المنطقة الغربية الساحلية .	12
الاتجاه نحو القبلة و الجنوب .	13
القضاء علي المقاومة في الجبل الأخضر	
1- سياسة التشدد و البطش .	13
2- المعتقلات .	14
3- الواجبات العسكرية الجديدة .	15
4- احتلال الكفرة .	15
5- سد الأسلاك الشائكة .	16
6- أسر عمر اختار و استشهاد .	16

التوسع الاستعماري الإيطالي الحرب العالمية الثانية

- 17 موقف القوات البريطانية .
- 18 التهيؤ للقتال .
- 19 انهيار فرنسا .
- 20 موسوليني يعلن الحرب .
- هجوم غراتسياني علي مصر .
- مسألة مالطا .
- 22 الاستعداد للمعركة المقبلة
- الموقف بعد الهجوم الإيطالي .
- ويفل .
- 23 الحرب في الصحراء .
- مجموعة الصحراء بعيدة المدى .
- 24 خطة للقضاء علي غراتسياني
- 25 عملية البوصلة .
- ثغرة نبيوة .
- 27 الهزيمة في براني
- خطة المعركة .
- 29 معركة سيدي براني .
- أسباب الهزيمة في سيدي براني .
- 30 المطاردة .
- البردية .
- 31 عند مفترق الطرق .
- استسلام بقايا الجيش العاشر الإيطالي .

الموضوع	الصفحة
تعليق .	
تعقيب موسوليني .	
رأي الخبراء .	
الجزء الثاني :	
دخول الألمان إلى حلبه الصراع	
الانتصارات الألمانية الأولى .	
رومل يتولى القيادة .	
الهجوم الأول لرومل .	
معركة البلطة .	
الهجوم المضاد الثاني للبريطانيين	
معركة الكروسيدير .	
المعارك حول طبرق .	
الانسحاب .	
الألمان وحلفاؤهم الإيطاليون .	
التقدم من مرسى البريقة إلى العلمين	
الهجوم الثاني لرومل .	
عودة لمسألة مالطا .	
القرار النهائي .	
معركة عين الغزالة .	
الاستيلاء على طبرق .	
التقدم نحو الاسكندرية .	

47

الانسحاب الأخير

48

التوقف أمام العلمين .
الذعر بجتاح البريطانيين .

52

مونتجومري .
معركة علم حلفا .
الهزيمة في العلمين .
تقهقر قوات المحور .
الانسحاب من الأراضي الليبية .
خروج الإيطاليين من ليبيا .
كفاح الشعب الليبي ضد الإيطاليين .

54

الصراع حول تونس

55

نهاية قوات المحور في تونس .
نتائج سقوط تونس .

57

الجزء الثالث :

انتقال الحرب إلى البحر الأبيض المتوسط وانهيار الفاشية

58

الأيام الصعبة .
موسوليني وحكومته .
المتآمرون .

60

غزو الحلفاء لإيطاليا .
تعاقب الحوادث السيئة .

61

استسلام جزيرة بانتلريا .
غزو جزيرة صقلية .
الغارات الجوية على روما .

61	الحوادث تسير من سيء إلى أسوأ	اجتماع المجلس الأعلى . اعتقال موسوليني .
63	الحوادث تتجه اتجاهاً «أسوأ»	انهيار النظام الفاشي . حكومة بادليو . استسلام إيطاليا .
64	محاولة أخيرة لإنقاذ الفاشية	إنقاذ موسوليني .
65		قيام الجمهورية الاشتراكية . محاكمة المنشقين علي موسوليني .
65	الأيام الأخيرة للنظام الفاشي	تراجع القوات الألمانية .
66		الجرى وراء الأوهام .
67		محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه .
68		القبض علي موسوليني .
69		السقوط المشين .
72		نظرة أخيرة . ثبت بالمصادر والمراجع .

مجلس أمناء
الكتاب



الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
مصراتة - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى